الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية موسومة بـ :

أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر

من خلال مخطوط

خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين

لمؤلف مجهول

من سنة 918هـ/1512م إلى سنة 953هـ/1546م

تقديم الطالب:

محمد لعباسي

بإشراف الدكتور:

الجيلالي سلطاني

السنة الجامعية: 1426- 1427هـ/ 2005- 2006م

تعتبر بداية القرن السادس عشر الميلادي الموافق للقرن العاشر الهجري نقطة تحول تاريخي عالمي، فقد أصبحت إسبانيا موحدة بفضل زواج فريدناند مع إيزابيلا، التي أوصت قبل موتها سنة 911هـ - 1505م باحتلال سواحل شمال إفريقيا، لتكون بلادها في مأمن عن خطر مسلمي هذه المنطقة، التي أصبحت تعجّ بهم، والذين فرّوا من ضغط نصارى الأندلس، وبدأت اسبانيا بذلك في سياستها التوسعية الاستعمارية، ذات الطابع الصليبي.

لقد نفّذ الأسبان وصية ملكتهم المتوفاة، واحتلوا مناطق عدة في شمال إفريقيا، مثل: سبة، وهران، بجاية...، في الوقت الذي كانت دويلات هذه المنطقة (الحفصية، الزيّانية، المرينية) غارقة في مشاكلها الداخلية، حيث تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية، بسبب التنافس على كرسي الحكم في الدولة الواحدة من جهة، والتناحر بينها من جهة أخرى، مما أدى إلى غياب دولة قوية ذات سيادة على كامل ترابها، تدافع عن نفسها، وتصون أرضها من أي اعتداء خارجي، قد يهدد كيانها.

وفي ظل هذه الظروف، ظهر رجلان تركيان في تونس، ذاع صيتهما في الجهة الغربية للبحر المتوسط، واشتهرا بالشجاعة والقوة، تضررت بذلك البلاد الأوروبية من أعمالهما كثيرا، مثل: اسبانيا وايطاليا،حيث تمكّن خيرالدين رفقة أخيه عروج أن يفرضا نفسيهما في منطقة المغرب الإسلامي، كرجلين قويين، يستطيعان صدّ الأعداء. فدخلا إلى الجزائر، واستقرا بها، ليصبح حكمها في أيدي الأتراك الذين حكموها أكثر من ثلاثة قرون.

ولعلّ من أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار الموضوع : هو عدم وجود دراسة أكاديمية متكاملة، ومستقلّة عن خير الدين، وعن أعماله العسكرية في الجزائر، إضافة إلى أنّ هذه الشخصية ما تزال تحتاج إلى المزيد من البحث، والتنقيب والدراسة، وإن تمّ التطرق إليها من قبل بعض المؤرخين، فإنّ ذلك كان ضمن الإطار العام للبحث من خلال الحديث عن تاريخ الجزائر، أو تاريخ الدولة العثمانية، أو علاقة الجزائر بأوربا.

يضاف إلى ذلك رغبتي الملحة في الاطلاع على المخطوطات التي تتناول تاريخ الجزائر، فكان مخطوط " خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وقدوم أخيه خير الدين" وثيقة تاريخية، تفحصتها، فاخترتها موضوعا لمذكرتي.

ولعلّ السؤال الذي يطرح هو: كيف استطاع خير الدين وهو الغريب عن هذا الوطن أن يصبح حاكما على البلاد؟ وماذا فعل حتى استطاع أن يوحد شتات الجزائريين، الذين كانوا متفرقين إلى حكومات قبلية مستقلة عن الدولة؟ وما هو موقف سكان الجزائر من حكم هذا الرجل للبلاد؟ وما هو الدور الذي أدّاه خيرالدين في الجزائر، حتى أصبحت هذه الأخيرة بلدا قويا، له مكانتها في الساحة، تهاجم بلاد النصارى، بعد أن كانت تحاول الدفاع عن نفسها؟ وماذا استفادت الجزائر من حكم الأتراك عامة ومن خير الدين خاصة؟ وهل كان الأتراك منجدين أم محتلين؟

كل هذه الأسئلة كانت تستوقفني أثناء تحليلي للوقائع، ومن أجل الإجابة عن تلك الإشكاليات، قسمت الموضوع إلى مدخل، وثلاثة فصول. تناولت في المدخل التعريف بالمصدر الذي درسته، واعتمدت عليه في استخراج الأعمال التي قام بها خير الدين، موضحا الظروف التي كانت سائدة في المغرب الإسلامي قبيل مجيء الأتراك.

أما الفصل الأول فقد خصصته للتعريف بشخصية خير الدين، مبينا الكيفية التي دخل بها الأتراك إلى الجزائر، معتمدا فيه على مبحثين: الأول سميته خيرالدين، حيث ذكرت فيه نشأته، وحياته، وصفاته، مع ذكر بعض أعماله غير العسكرية التي قام بها، ثمّ وفاته. أما المبحث الثاني فخصصته لدخول الأتراك إلى الجزائر لأول مرة، مبينا سبب مجيئهم، وكذا موقف السكان منهم.

أما الفصل الثاني فأفردته لأعمال خير الدين العسكرية داخل الجزائر، فقسمته إلى مبحثين، خصصت الأول لمحاربة النصارى، والثاني لملاحقة المتمردين. وقد رأيت إلى أن أقسم أيضا كل مبحث إلى فترتين: فترة ما قبل سنة 927هـ - 1520م، وهي السنة التي اضطر فيها خير الدين أن يخرج من مدينة الجزائر، تحت ضغط أحمد بن القاضي الثائر عليه، واستقر بمدينة جيجل. وفترة ما بعد سنة 931هـ - 1524م، وهي السنة التي بدأ فيها خير الدين التحرك إلى مدينة الجزائر، مرورا

بمنطقة الزواوة برا. وقد لجأت إلى هذا التقسيم لكون المخطوط لا يذكر أي عمل عسكري قام به خير الدين داخل الجزائر، فكل ما يذكره هو أن خيرالدين اهتم في الفترة الممتدة مابين 1520 و1524م بالعمل البحري، وغزو بلاد النصارى.

ولقد حاولت من خلال هذا المصدر جمع كل الأعمال العسكرية التي قام بها خير الدين، أو جيشه داخل الجزائر، فذكرت في المبحث الأول المدن التي حارب فيها النصارى، أو فتحها، وغنم بموجبها أسرى منهم. ولم أذكر المعركة التي استشهد فيها عروج، لكون خير الدين لم يكن سوى نائبا عن أخيه في الحكم من جهة، وعدم مشاركته فيها من جهة أخرى.

أما المبحث الثاني، فقد ذكرت فيه أسماء الأشخاص، الذين كانوا في حرب مع خير الدين، وقد كررت بعض الأسماء مرتين، مرة في الفترة الأولى أي ما قبل سنة 927هـ - 1520م، ومرة في الفترة الثانية بعد سنة 930هـ-1524م، وذلك لالتقاء خير الدين أو جيشه معه في كلتا الفترتين، مثل ما هو الحال مع أحمد بن القاضي، الذي التقى جيشه مع جيش خير الدين في الفترة الأولى، ثم في الفترة الثانية.

أما الفصل الثالث فقد سميته: بأعمال خير الدين العسكرية خارج الجزائر، وقسمت هذا الفصل إلى ثلاث مباحث هي: أعماله في عرض البحر، وأعماله في بلاد النصارى، ثم أعماله في تونس. ففي المبحث الأول، تعرضت إلى العمل البحري الذي قام به خير الدين في عرض البحر، وأحصيت كل حملاته التي خرج فيها إلى البحر من مصدر هذه الدراسة، وعلّقت عليها استنادا إلى بعض المصادر والمراجع الأخرى. والعمل نفسه قمت به في المبحث الثاني والثالث. وكان تقسيم هذا الفصل بهذا الشكل وفق المناطق التي تحرك فيها خير الدين. ثم ختمت هذا العمل بخاتمة، ذكرت فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

ثم أردفت عقب هذه الخاتمة بملاحق، بينت فيها صور بداية ونهاية كل نسخة من النسخ الثلاثة للمخطوط، الذي اعتمدت عليه في هذه الدراسة. وقمت بوضع خرائط تبين حملات اسبانيا على سواحل المغرب الإسلامي، وكذا أعمال خير الدين

خارج الجزائر، إلى جانب جدول زمني لأهم الأحداث في الفترة التي درستها والممتدة من سنة 918هـ - 1512م إلى غاية 948هـ - 1541م.

وقد اعتمدت على عدة مصادر لمقارنة ما جاء في مخطوط: " خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وقدوم أخيه خير الدين " وهو محل الدراسة، مثل: مخطوط " الزهرة النائرة لما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة " لمؤلفه محمد بن رقية التلمساني، ولقد وجدت هذا المخطوط ينقل الوقائع التي تتصل بحملات الأسبان على مدينة الجزائر، نقلا مباشرا عن المصدر المعتمد عليه، والشيء نفسه وقفت عليه عند قراءة مخطوط بعنوان: " فتح خير الدين تونس من تاريخ عروج". حيث تناول هذا المخطوط فتح خير الدين لمدينة تونس، واشتباكه مع شارلكان الذي احتلها بعده، وما جاء فيه هو نقل عن مخطوط " خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وقدوم أخيه خير الدين ".

ومن المصادر الأخرى التي اعتمدت عليها أيضا مثل: مخطوطات أبي راس، والمتمثلة في مخطوط: "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار". وكذا كتاب: "الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية". وكتاب: " طلوع سعد السعود". للأغا بن عودة المزاري، الذي حققه يحي بوعزيز، كما اعتمدت على جملة من المصادر التي لها صلة بالموضوع.

والملاحظ على هذه المصادر أنها لا تهتم بشخصية خير الدين، غير أن كل ما جاء فيها هي إشارات تاريخية في عرض الكلام عن الترك. وأحيانا تذكر الحوادث التاريخية، ولكنها تهمل التواريخ عكس المصادر الأخرى.

كما اعتمدت في هذه المذكرة على مراجع لها صلة بالموضوع، مثل: كتاب: " حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا " لكاتبه أحمد توفيق المدني، الذي يذكر الظروف التي كانت تعيشها منطقة المغرب الإسلامي قبل مجيء الأتراك، كما تابع أعمال خير الدين وعروج، ولكنه يعتمد على مصدر هذه الدراسة – مخطوط: "خبر قدوم عروج إلى الجزائر وأخيه خيرالدين" - في نقل الأحداث بشيء من التحليل والتعليق، ولكنه لم يوثق كل المعلومات التي جاء بها.

واعتمدت أيضا على كتاب:" الجزائر خلال الحكم التركي 1514– 1983م " لصالح عباد، فهو يذكر بداية التواجد العثماني بالجزائر حتى نهايته، مع ذكر الحوادث التاريخية، وترجيحه لها عند اختلاف المؤرخين حولها، كما أنه يوثق المعلومات التي وظفها، ولكنه يهمل الأعمال التي قام بها خير الدين خارج الجزائر.

كما اعتمدت أيضا على كتاب: " الثلاثون السنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر" للمؤلفة كورين شوفالييه، خاصة في ذكر حملات الأسبان على مدينة الجزائر، حيث تورد كاتبته الاختلافات الموجودة بين المؤرخين حول هذه الأحداث.

ومن الكتب المعتمدة كتابان مترجمان إلى العربية هما كتاب: " ساحل شمال إفريقيا: الجزائر تحت الترك" للمؤلف الأمريكي جون بابيست وولف، وقد ترجمه الدكتور أبو القاسم سعد الله وغيّر عنوانه إلى: " الجزائر وأوربا: 1500– 1830م". وكذا كتاب: " غازي الغزاة سليمان القانوني" لأندري كلو الذي ترجمه محمد الرزقي. وهذان الكتابان يرصدان تصادم خير الدين مع النصارى في الداخل والخارج.

وهناك مرجع آخر بعنوان: " خير الدين بربروس" لبسام العسلي، هذا الكتاب على بضعة مراجع فقط، وهو يُصنف ضمن الكتب التربوية.

غير أن هناك كتابا أخرى لم أتمكن من الحصول عليها، لندرتها في السوق، مثل كتاب للشماخ الذي اعتمد عليه أبن أبي دينار في كتابه: " المؤنس في أخبار إفريقية وتونس" كما لم أتمكن من كتاب " تحفة الكبار في أسفار البحار" لمؤلفه جلبي وهو باللغة العثمانية، وموجود بتركيا.

ولقد ضيّعت فرصة الاستفادة من مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر عنوانه: " ملوك آل عثمان"، لوجوده باللغة التركية. وإضافة إلى هذه هناك عراقيل أخرى كانت تثني من عزيمتي لإنجاز هذا العمل، منها: المشاكل العائلية والمهنية.

قبل التطرق إلى الموضوع، يجب تعريف المخطوط أولا، ثمّ ذكر الظروف التي كانت سائدة قبيل مجيء الأتراك.

1- التعريف بالمخطوط:

أ- مؤلفه:

لا توجد في المخطوط أيّة إشارة، تدلّ على اسم مؤلفه، وكل ما يوجد في آخر ورقة منه، هو أنّ مفتي مدينة الجزائر ابن علي[1] هو الذي أمر بترجمته من اللغة التركية إلى العربية في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي.

وهناك عدة دراسات اعتمدت على هذا المخطوط، ولكنها لم تحدد مؤلفه، فيذكرونه على أساس أنّه مجهول، مثل دراسات الأستاذ أبي القاسم سعد الله[2]، الأستاذ ناصر الدين سعيدوني[3]، وغيرهما.

أما محمود علي عامر فيذكر: أنّ هناك نسخ موجودة في تركيا مكتوبة بخط يد خير الدين، لأنّه هو الذي " دوّن معاركه البحرية والبرية... كما أنّ الخط يؤكد أنّه خط خير الدين"[4]. وهناك قول آخر يذكر أن خير الدين هو الذي أملى كتاب " غزوات عروج وخير الدين " على كاتبه سنان[5].

1- محمد بن محمد بن محمد بن المهدي بن رمضان بن يوسف العلج: ولد حوالي سنة 1090هـ- 1679م، وتوفي على الأرجح سنة 1169هـ- 1755م، وهو من أسرة ذات صلة بالوظائف الرسمية تولى الفتوى الحنفية بمدينة الجزائر سنة 1150هـ-1736م، واستمر بها إلى سنة 1169هـ-1755م. وكان على صداقة متينة مع الأديب أحمد بن عمار الجزائري، وقد تبادل معه القصائد. أبو القاسم سعد الله - تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر(16م – 20م) – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر- 1981- ج2 – ص، ص: 300- 310؛ - أبو القاسم سعد الله - أشعار جزائرية - المؤسسة الوطنية للكتاب -1988- ص: 197؛ نور الدين عبد القادر- صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها حتى انتهاء العهد التركي – مطبعة البعث – الجزائر – 1965 - ص: 194، ينظر – اسماعيل باشا البغدادي – هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المدفين – المكتبة الإسلامية – إيران – 1947- ج: 02- ص: 328.

2- مثل :كتاب" تاريخ الجزائر الثقافي – ج:02" ، وكتاب: "أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر- ج: 04".

3 - مثل:كتاب:" الجزائر في التاريخ- العهد العثماني" ، وكتاب: "الجزائر منطلقات وأفاق- مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخي"، وكتاب: "ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني" .

4 - سامح ألتر – الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية – ترجمة: د/ محمود علي عامر – دار النهضة العربية – بيروت – ط: 01 – ص: 29.

5 - ينظر - ابن أشنهو – دخول الأتراك إلى الجزائر – الطباعة الشعبية للجيش - الجزائر – ص:07.

ولكن ألفاظ هذا المخطوط لا تدل على أن خير الدين هو الذي كتبه أو أملاه، فالضمير المستعمل فيه هو ضمير الغائب، ولو كتبه خير الدين بنفسه أو أملاه لأستعمل لفظ المتكلم، فعوضا أن نجد في المخطوط: " عزم خير الدين" أو" أراد خير الدين" وغيرها من الألفاظ، نجد: " عزمت" أو "أردت".

غير أن الكاتب لم يذكر المصادر التي اعتمد عليها في ذكر أخباره، بل يتحدث عن الوقائع، وكأنّه كان حاضرا فيها.

ب- وصف المخطوط:

توجد في المكتبة الوطنية – الحامة – بالجزائر أربعة نسخ لهذا المخطوط، مسجلة تحت الأرقام التالية: 1622، 1623، 2603،5035 وهذه الأخيرة موجودة في علبة المكروفيلم، وهي عبارة عن نسخة مصورة عن نسخة موجودة في رفوف المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس.

فالنسخة ذات رقم: 1622، بدايتها " باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم،الخبر عن قدوم عروج ريس إلى الجزائر وقدوم أخيه خير الدين بعده، وذكر أخبارهما وغزواتهما البحرية وكيفية ذلك على التفصيل". ثم يذكر أصل عروج وخير الدين، أما نهاية هذه النسخة: "... وكتبه بهذا المحل الفقير على الله تعالى محمد بن أحمد بن قاسم غفر له الله تعالى ذنبه وستر بفضله عيبه وكان الفراغ منه ليلة الأحد السابعة من ربيع الثاني من عام سبعة وسبعين ومائة وألف من هجرته صلى الله عليه وسلم". وهناك عبارة قبل هذه العبارة تدل على أن هذه النسخة منسوخة عن نسخة أخرى ناسخها هو محمد بن رمضان الدلسي.

هذه النسخة في حالة جيدة، إلا بعض الخروم غير مؤثرة موجودة فيها. مسطرتها 140 X201مم، وعدد أوراقها هو 57 ورقة، وفي كل صفحة 25 سطرا، مكتوبة بخط مغربي واضح ومقروء، بالحبر الأسود، ويستعمل اللون الأحمر في كتابة عبارة: " رجعنا إلى خبر ..." مثلما هو في ظهر ورقة 06. أو كتابة بعض العناوين، مثل: " ذكر سبب سفر خير الدين إلى خضرة السلطان.." في ظهر ورقة 35.

أما النسخة ذات الرقم: 1623 بدايتها: " باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد الخبر عن قدوم عروج رايس إلى الجزائر وقدوم أخيه خيرالدين نصرهم الله بعده، وذكر أخبارهما وغزواتهما البحرية وكيفية ذلك على التفصيل". ثم يذكر أصل عروج وخير الدين، أما في نهاية هذه النسخة لم يكتب اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وزاد قولا لأحد الشعراء حين قال:"... ولله در بعض الشعراء حيث قال فيمدح عسكر الجزائر من أول قصيدة طويلة سلم على الجند الموید بالنصر ضراغم خلق الله في البر والبحر جيش بها الإسلام قال مراده فأصبح دين الله مبتسم الثغر في ما شغلهم إلا الجهاد جزاهم الودق خيرا يهون على الحصر انتهت بحمد الله الذي لا إله إلا هو ولا ربا غيره ولا معبود سواه " .

هذه النسخة في حالة جيدة، مسطرتها 201X 140مم، وعدد أوراقها هو 63 ورقة، وفي كل صفحة 21 سطرا، مكتوبة بخط مغربي واضح ومقروء، بالحبر الأسود، ويستعمل اللون الأحمر في كتابة بعض الألفاظ، منها أسماء الأعلام مثل: " خير الدين " و" السلطان.." في كل أوراق هذه النسخة.

والنسخة الثالثة ذات الرقم: 2603، بدايتها: " باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم الخبر عن قدوم عروج رايس إلى الجزائر وقدوم أخيه خير الدين، وذكر أخبارهما وغزواتهما البحرية وكيفية ذلك على التفصيل". ثم يذكر أصل عروج وخير الدين، أما في نهاية هذه النسخة زاد عبارة عن نهاية النسخة ذات الرقم:1622، وهي: "... وكان الفراغ من نسخه الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي المدعو بن طبار غفر الله ولواديه ولأشياخه ولجميع المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات الأحياء منهم والأموات". هذا ما يدل على أن هذه النسخة منسوخة عن الأولى.

هذه النسخة موجودة ضمن مجموع به مخطوط: " الزهرة النائرة .." لمحمد بن رقية التلمساني، بها 63 ورقة عليها أرقام على صفحاتها ابتداء من الرقم 49 حتى الرقم 175، وكل صفحة بها 17 سطرا، مزخرفة في بداية النسخة، مكتوبة على

دفتر مخطط باللون الأزرق، بخط مغربي مقروء وواضح. يستعمل اللون الأحمر في كتابة بعض الأسماء، وبعض العبارات مثل: " الحمد لله" ، " اللهم" .

ويذكر محمود علي عامر- في ترجمته لكتاب: " الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية" لمؤلفه سامح ألتر – أنّه اعتمد في هذه الترجمة على ثلاث نسخ من مخطوطة عنوانها: " غزوات خير الدين"، نسخة واحدة في مكتبة الطوب قابي بتركيا، ولكن هذه النسخة ناقصة، والثانية في مكتبة دار الفنون في البلد نفسه، ولكن تحت عنوان: " تاريخ الجزائر"، والثالثة موجودة في هذه المكتبة، ولكنها منظومة[1].

ومن خلال ترجمته لهذا الكتاب، والمعلومات التي قدمها فيه، لاحظت أنّ هذه النسخ التي اعتمد عليها هي نفسها مخطوط: " خبر قدوم عروج...". ويبدو أنّ هذه النسخ الأخيرة الموجودة في تركيا، هي أصل مخطوط: " خبر قدوم عروج..." .

ج - أهميته:

لهذا المخطوط قيمة علمية كبيرة، إذ يُعتبر من أهم المصادر التي تؤرخ لبداية التواجد التركي بالجزائر، فالمصادر التي تناولت هذه الفترة لم تفصّل لنا المعلومات المذكورة في هذا المصدر، وفي هذا الصدد يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: "... قليلة هي الأخبار التي تتحدث عن سير حكام الجزائر خلال العهد العثماني، وقليل هم أولئك الحكام الذين ظفروا بعناية الكتاب المعاصرين لهم، فخلّدوهم في كتاب أو في قصيدة، ولولا الأخبار التي وردت عن خير الدين وأخيه عروج في كتاب الغزوات لما عرفنا عنهما إلا أسماءهما.." [2].

ولأهميته في تاريخ منطقة شمال افريقية خلال بداية القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي، ترجمه جون ميشال دو بردي في ما بين سنتي:1192هـ - 1778م و1194هـ -1780م، من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان:" Fondation de la Regence d'Alger,Histoire des

[1] - ينظر في هامش – عزيز سامح ألتر – الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية – ص : 29.

[2] - أبو القاسم سعد الله – أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر – ج: 02- بيروت – دار الغرب الإسلامي - ط: 01 –1996- ص: 321.

Barberousse "، وفي كل حادثة من هذا الكتاب يقدم لها ببعض الكلمات، كما أنه يختمها بتعليق من عنده، وكثيرا ما كان يقارن بين ما جاء في المخطوط وبين ما كتبه المؤرخ هايدو عن الحدث نفسه. ونشر هذه الترجمة السيدان: ساندر انج وفرديناند دنيس في جزئين، سنة 1253هـ - 1837م بباريس[1].

وقد اعتمده المؤرخون العرب وغيرهم في دراساتهم التاريخية، المتعلقة بحياة عروج وأخيه خير الدين، مثل جلبي في كتابه: " تحفة الكبار في أخبار البحار" أو بالتواجد العثماني بالجزائر أو علاقة أوربا مع الجزائر، مثل محمد بن رقيه التلمساني[2] في مخطوطه: " الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الجنود الكفرة ".

كما نشره الأستاذ: نور الدين عبد القادر، بالجزائر سنة 1357هـ - 1934، في كتاب من 124 صفحة، وأضاف إليه جزءا خصّه بتعليقه وإيضاحه في 20 صفحة، وقد غيّر عنوانه إلى:" كتاب غزوات عروج وخير الدين"، واعتمد على نسخة واحدة، التي تحمل رقم: 1622.

ومن الملاحظات أيضا على هذا النشر، أن الناشر أعاد كتابة المخطوط مع الإبقاء على الكثير من الأخطاء المتنوعة، الإملائية منها، و النحوية وغيرها، كما أنه أهمل علامات الوقف تماما، إلى جانب تخريج بعض الأعلام والأماكن، وشرحه لبعض الكلمات، لم يذكر مصادرها التي اعتمد عليها في ذلك، وهنا كان الغرض المطلوب ناقصا.

د - موضوعاته:

[1] - SANER RANG . FERDINAND DENIS , Fondation de la Régence d'Alger, Histoire des Barberousse, Edition Bous lama , Tunis, 1984.T1 ,T2.

[2]- محمد بن رقية بن عبد الرحمان الجلالي التلمساني ، توفي بعد سنة 1194هـ/ 1780م، كان من العارفين بالعلوم الفقهية واللغوية، قام بتصنيف في تاريخ غارات النصارى على الجزائر في كتاب " الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة". ينظر- ناصر الدين سعيدوني – من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين – دار الغرب الإسلامي – لبنان – ط: 01 – 1999 – ص: 425.

ويُعتبر مخطوط: "خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وقدوم أخيه خيرالدين"، واحدا من المصادر العربية القليلة التي تتناول فترة بداية دخول الأتراك إلى الجزائر، فموضوع هذا المخطوط تاريخي بحث، ينقل مسيرة الإخوة عروج وخيرالدين من جزيرة مدلي، ووصولهما إلى تونس واستقرارهما بها، ثم دخولهما إلى الجزائر، التي ينقل لنا عنها هذا المخطوط تلك المعارك التي قام بها الإخوة إلى غاية حملة شارلكان على الجزائر سنة948هـ - 1541م، مع إهماله لبعض الأعمال التي قام بها خير الدين، فيما بين سنتي:927هـ - 1520م و931هـ - 1524م المتعلقة بفتح مدينة القل، وعنابة وقسنطينة.

فأحيانا يذكر الأحداث التي عاشها عروج وخيرالدين بالجزائر بالتفصيل، خصوصا حملات الاسبانيين على الجزائر، وكذا بعض المواجهات مع المتمردين، وسرعان ما نجده يختصر في بعض الأحيان الأخرى. معتمدا على التسلسل الزمني للأحداث مع إهماله لضبط وتقييد تواريخها.

ويشير هذا المخطوط إلى الحالة السياسية للبلاد خلال هذه الفترة، فهو ينقل تنافس أبناء الأسرة الحاكمة في الدولة الزيّانية حول الحكم، ودخولهم في طاعة ملوك إسبانيا تارة، قصد أن يضمنوا لهم البقاء في السلطة، وتارة في طاعة خير الدين.

ويُبيّن كذلك الحالة الاقتصادية للبلاد، فيذكر مثلا: أن قلعة بني راشد كانت تصدّر المنتجات الزراعية إلى المدن المجاورة مثل وهران. كما يبيّن أنّ المجتمع الجزائري كان يتكون من ثلاث عناصر هم: أهل البلد، الأتراك، والأندلسيون، الذين هاجروا إلى الجزائر، حينما يذكر المشاركين في معركة من المعارك التي خاضها خير الدين في الجزائر.

هـ- لغته وأسلوبه:

وتمتاز لغته بالسهولة، تميل إلى العامية، يستعمل بعض الألفاظ مثل: "الطاغية"، ويقصد بها ملك اسبانيا، وكذا كلمة: " الملاعن "، و" الكفار" ويقصد بهما النصارى، ويسمي جيش خيرالدين بـ: "جماعة الغزاة "، كما يستعمل ألفاظا عامية مثل: " تفاول " أي تفاءل، و"سقط في يد النصارى"، والصحيح هو: فسقط في أيدي

النصارى، ويورد في كتابته ألفاظا تركية مثل: "صمصوم" وهو: نوع من كلاب الصيد، " الإسقالة "، ومعناها السلم[1].

أما أسلوبه فهو سردي بسيط، يمدح فيه خير الدين وجيشه، ويذّم فيه الاسبانيين، يستعمل المقابلة كثيرا، حيث يقابل صورة جيش خير الدين مع صورة جيش النصارى، قبل بدء المعركة بينهما.

وفي هذا المخطوط أخطاء نحوية وإملائية وأسلوبية كثيرة. ويكتب دون وضع عناوين ترشد القارئ، ولكنه عندما يربط حدث مع آخر قد مضى يقول:" ...رجعنا إلى خبر..." ويذكر الخبر، وأحيانا لا يحدد الأشخاص الذين يذكرهم بأسمائهم، بل يكتفي بوظيفتهم فقط، كأن يقول السلطان الحفصي مثلا، دون أن يذكر اسمه، أو يذكر صاحب تلمسان، دون تحديد من هو؟

2- أوضاع المغرب الإسلامي قبيل مجيء الأتراك:

لقد عرف القرن الخامس عشر الميلادي تحولا مهما في العلاقات الدولية، كان له الأثر الواضح في الخريطة السياسية العالمية. حيث برزت قوتان عظيمتان: إسلامية ممثلة في الدولة العثمانية، ونصرانية ممثلة في الدولة الاسبانية، وكانت كل واحدة تريد القضاء على الأخرى، وكان البحر الأبيض المتوسط مسرحا لهذا الصراع العالمي.

كما عرف العالم الإسلامي في هذا القرن ظهور قوة جديدة متمثلة في الدولة العثمانية، التي استطاعت أن تفتح القسطنطينية في سنة 857هـ - 1453م على يد السلطان محمد الفاتح. وبهذا الفتح قضى العثمانيون على الإمبراطورية البيزنطية، التي شكلت خطرا على المشرق الإسلامي، ثم بدأت هذه الدولة في التوسع إلى أن وصلت مصرا سنة 923هـ - 1517م بقيادة السلطان سليم الأول[2]، الذي استطاع أن

---

[1]- ينظر ترجمة الألفاظ التركية إلى ملحق – مجهول – غزوات عروج وخيرالدين – تصحيح وتعليق: نورالدين عبدالقادر – 1934 – الجزائر - ص: 17.

[2] - سليم الأول : بن السلطان بايزيد خان، جلس على تخت الملك سنة سبع وتسعمائة، كان عمره ستا وأربعين سنة، وتوفي و عمره أربعا وخمسين سنة، وكان سلطانا قهارا ذا هيبة، وهو فاتح مصر 1517م سنة .
ينظر– محمد أبي السرور البكري الصديقي – فتح الرحمانية في الدولة العثمانية– مخطوط – المكتبة الوطنية – الجزائر- رقم 1651 – ص و :16

ينتصر على دولة المماليك[1]، ويرث الخلافة الإسلامية لتصبح الدولة العثمانية تقود العالم الإسلامي كله، جامعة بين القوة العسكرية والسياسية وبين القوة الروحية، "...واكتسب السلطان العثماني بسبب ذلك دور القائد الروحي والعسكري والحاكم السياسي..."[2] الشرعي للعالم الإسلامي.

في الظرف ذاته كانت هناك دولة مجاورة للعثمانيين، وهي الدولة الصفوية[3]، التي أنشأها الشاه إسماعيل، الذي أعلن نفسه شاها في سنة 907هـ - 1501م، وأصبح مجال نفوذها يمتد بين المجال العثماني غربا ونفوذ المغول بالهند شرقا[4].

وكانت العلاقة بين هاتين الدولتين سيئة للغاية وصلت إلى درجة الاقتتال بينهما سنة 920هـ - 1514م في واقعة جالديران في شمال غرب إيران، والتي انتصر فيها الأتراك، وبهذا مهدوا الطريق لضم العراق لدولتهم.

وقد استغل الأسبان هذه الظروف وتقربوا من الصفويين قصد استمالتهم ضد الأتراك، الذين كانوا يواصلون زحفهم إلى قلب أوربا.

وهكذا أصبحت الدولة العثمانية في حالة حرب دائمة على جبهات ثلاث: الجبهة الأوربية بالمجر وسهول الدانوب، والجبهة الروسية حول سواحل البحر الأسود وبلاد القرم، والجبهة الإيرانية مع الصفويين.

أما الجهة الغربية للبقعة الإسلامية، فكانت منقسمة إلى ثلاث دول: الحفصية في المغرب الأدنى، التي انفصلت عن الدولة الموحدية سنة 1236م، والدولة الزيّانية في المغرب الأوسط، التي استقلت بالحكم في الفترة نفسها، والمرينية بالمغرب الأقصى،

---

[1] - المماليك:وهم البرجيون، دامت دولتهم من سنة 1382م إلى سنة 1517م، وكان آخرهم طومان باي الأشرف

[2] - نعيمة بوحمشوش – مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر- رسالة ماجستير – إشراف: د/ ناصر الدين سعيدوني- معهد التاريخ – جامعة الجزائر- 1998/1999م – ص:10 ينظر – السيد الباز العربي – المماليك – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – ص ص: 267، 268.

[3] الصفوية:(1502م – 1736م) بدأت طريقة صوفية ثم تحولت إلى دولة ، وكان تيمورلنك قد اقطع شيوخها مقاطعة أردبيل.

[4] - ينظر – حسن مؤنس – عالم الإسلام: دراسة في تكوين العالم الإسلامي وخصائص الجماعات الإسلامية - دار المعارف- مصر- 1973 – ص: 463.

التي وصلت إلى الحكم في سنة 1248م. في الوقت الذي كان فيه المد النصراني لم يصل بعد إلى غرناطة.

وكانت كل دولة من هذه الدول تحاول التوسع على حساب جيرانها، فكان التناحر والتقاتل بينها، مما نتج عن هذا الوضع الاستنزاف المتبادل للقوة الاقتصادية والعسكرية، والضعف الكبير في الجهاز المركزي لهذه الدول، وأدى أيضا إلى تنافس أبناء الأسرة الحاكمة في الدولة الواحدة على السلطة والحكم. كل ذلك نتج عنه تردي الأوضاع وتدهورها، وبدأت سلطة هذه الدول تنحصر فقط في عواصمها، أو بعض المدن التي كانت تحيط بها، حيث انفصلت مجموعات قبلية وبعض المدن عن الحكومات المركزية، فقد تحولت هذه المدن إلى ما يشبه جمهوريات صغيرة، كما هو الحال بالنسبة إلى طرابلس، جربة ، بجاية، جزائر بني مزغنة، تقرت، تيطوان وسلا على سبيل المثال.

تلك هي صورة العالم الإسلامي في المشرق وفي شمال إفريقية. أما في جنوب أوربا، فقد استطاع الأسبان أن يكوّنوا قوة ضد المسلمين، خاصة بعد إتحاد مملكتي أراغون وقشتالة، إثر الزواج السياسي بين الملك فريناند الكاثوليكي والملكة إليزابيث سنة 873هـ - 1469م[1]، اللذين حددا هدفهما الرئيس في طرد ما تبقى من مسلمي الأندلس[2]، في إطار ما يسمى بحروب الاسترداد.

واستطاع الأسبان أن يزحفوا على ما بقي للمسلمين، بعد سقوط غرناطة آخر معقل لهم في الأندلس سنة 898هـ - 1492م[3]، وتبع هذا حملة واسعة للتنصير بالقوة فأرغموا المسلمين على ترك دينهم وإلا القتل أو التهجير، فظهرت ما يسمى بمحاكم

---

[1] - د/ عبدالرحمان علي الحجي – التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (93هـ - 8هـ) / (711م – 1493م) – دار القلم – دمشق – ط: 05 – 1418هـ/ 1997م– ص: 550.

[2]- ج. وولف – الجزائر وأوربا - ترجمة وتعليق: د/ أبو القاسم سعد الله – المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر – 1986 – ص: 26.

[3] - للمزيد من المعلومات عن سقوط غرناطة وشروط الصلح بين المسلمين والنصارى ينظر: احمد بن محمد المقري التلمساني – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي – ج: 05 – دار الفكر الإسلامي – بيروت – ط: 01 - 1419هـ / 1998م – ص: 407.

التفتيش، وكان دورها محاكمة كل من شكّ فيه أنه مازال قابضا على دينه[1]، أما المسلمون الذين لم يبدّلوا دينهم، فلم يبق لهم إلا الهجرة إلى شمال إفريقيا، هروبا من الاضطهاد المسلّط عليهم.

ولم تقف إسبانيا عند طرد المسلمين فقط، بل تعدى ذلك إلى ملاحقتهم في الضفة المقابلة من البحر المتوسط في إطار عملية الاسترداد ذات الطابع الصليبي، حيث أن الكنيسة قد باركت انتصار الأسبان على المسلمين في غرناطة، إذ أصدر البابا ألسكندر السادس مراسيم بابوية في سنتي:899هـ- 149م و900هـ–1494م يبارك فيها إنجازات الملكين الإسبانيين، ويحثهم على مواصلة الحرب الصليبية ضد المسلمين في إفريقيا[2].

لقد رأى الأسبان ـ وهم في نشوة انتصارهم ـ أن يواصلوا زحفهم على سواحل المغرب العربي بروح صليبية بحتة، بحجة أن تأمين بلادهم من خطر المسلمين يكمن في احتلال هذه السواحل.

واتفقت اسبانيا مع البرتغال على خطة لتقسيم المغرب الإسلامي من خلال معاهدة توردسياس في سنة 873هـ - 1469م، فكانت مليلة أول ما احتله الأسبان بالمغرب سنة 874هـ - 1497م، ثم توجهت أنظارها إلى السواحل الجزائرية، فاحتلت المرسى الكبير سنة911هـ- 1505 م ، ثم وهران سنة 915هـ- 1509م، وبجاية سنة 916هـ- 1510م. كما أعلنت مدينة الجزائر خضوعها للمحتل الأسباني في يوم 31 جانفي 1510م، و المصير نفسه لاقته مدينة مستغانم، خوفا أن يتعرض سكانها إلى التقتيل والتعذيب والتنكيل.

وفي هذه الظروف الصعبة التي انعدم فيها وجود دولة قوية، تدافع عن نفسها، وعن شعب موحد متماسك يضحي من أجل بلاده، ظهر في المغرب الإسلامي رجلان ذاع صيتهما آنذاك، وهما الأخوان عروج وخير الدين التركيان، الذان اشتهرا

[1] - ينظر – لوبي كارداك – الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون – تعريب: د/ عبد الجليل التميمي – منشورات المجلة التاريخية المغربية والديوان الوطني للمطبوعات الجامعية الجزائر – تونس – 1983- ص: 111

[2] - ناصر الدين سعيدوني – الجزائرفي التاريخ ، العهد العثماني – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1984 - ص: 48.

بالشجاعة والقوة[1]، فاستغل سكان: بجاية، وجيجل، ومدينة الجزائر، وتلمسان، وجودهما بتونس للاتصال بهما، والاستنجاد بهما[2] في تخليص بلادهم من بلاء الاسبان.

[1] - ينظر - عمر عبد العزيز عمر – جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث – دار المعرفة الجامعية – مصر – 1998 – ص: 11.

[2] - ينظر – جلال يحي – العالم العربي الحديث والمعاصر - المكتب الجامعي الحديث – مصر – 1998 – ج: 01 – ص: 37.

الفصل الأول: خير الدين ودخول الأتراك إلى الجزائر

المبحث الأول: خير الدين:

1- أصله

2 - مولده.

3- نشأته

4 - صفاته.

5- أعماله

6 - أثاره

7 - وفاته.

المبحث الثاني: دخول الأتراك:

أ- وقت دخولهم إلى الجزائر

ب- سبب مجيئهم .

ج- موقف سكان الجزائر منهم.

إنّ الدارس للتاريخ الإسلامي عامة، والفترة التي عقبت سقوط الأندلس خاصة، يجد أن وجود الأتراك بالمغرب الإسلامي مرتبط بشخصية قوية، كان لها الدور الفعال في إنقاذ هذه الجهة من الأرض الإسلامية من خطر الحركة الاستعمارية التوسعية. هذه الشخصية تتمثل في خيرالدين.

المبحث الأول: خير الدين بربروس

1- أصله :

اختلف المؤرخون في أصل خيرالدين[1] بربروس فمنهم من يرى أن أصله يوناني، ثمّ اعتنق الإسلام مثل إخوته :عروج و إلياس و إسحاق ومثل سكان آخرين من جزر الأرخبيل .وهذا ما ذهب إليه "الكتاب الأوربيون[2] المهتمون بإبراز الأصل الأوربي سواء أكان يونانيا أو إيطاليا أو إسبانيا، لمعظم الذين اشتهروا في البحرية الإسلامية بشمال إفريقيا"[3]مظهرين تفوق العنصر الأوربي على غيره، وقد تبعهم بعض الكتاب العرب[4] الذين نقلوا عنهم.

---

[1] - أما اسمه خيرالدين فقد سماه به مسلمي الأندلس، لما كان ينقذهم من عذاب النصارى، ونقلهم إلى السواحل الجزائرية، وهناك من يرى أن السلطان سليمان هو الذي سماه بهذا الاسم حينما قال له: أنت من خيرة أبناء البلاد وقد سميتك خيرالدين، وقد ورد اسمه في المراجع إلى عدة أوجه منها حيث عند الكثير من المؤرخين المشارقة اسم خضر، وعند المغاربة خسرف ، كما ورد اسم خزر، وكذلك خذر وأصل هذا الاختلاف راجع إلى ترجمته من اللغة التركية إلى غيرها من اللغات.واسمه الحقيقي بالتركية هو: HIZIR .
ينظر – عزيز سامح ألتر – الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية – ص : 72.
ينظر – د/أحمد فؤاد المتولي – تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي – إيتراك للنشر والتوزيع – مصر - 2002 - ط : 1 – ص : 250.
ينظر – أحمد توفيق مدني – حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا1492،1792- الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر –1976 - ص :156.
ينظر – أرجمنت كوران – السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر – ترجمة : عبدالجليل التميمي - منشورات الجامعة التونسية – 1970 – ص :21.

[2]- كورين شوفالي - الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510-1541 – ترجمة :جمال حمادنة –ديان المطبوعات الجامعية-الجزائر- ص:24.
وليم سبنسر - الجزائر في عهد رياس البحر – تعريب وتقديم : عبدالقادر زبادة – المكتبة الوطنية للنشر و التوزيع –الجزائر – ص : 29.
أندري كلو – غازي الغزاة : سليمان القانوني – تعريب : محمد الرزقي- دار التركي للنشر – تونس – 1991 – ص :129.

[3]- - د/ صلاح العقاد - المغرب العربي في التاريخ الحديث و المعاصر- مكتبة الأنجلوالمصرية - ط:06- 1993- ص :19.

[4]- - ينظر – محمود شاكر – التاريخ الإسلامي، العهد العثماني - المكتب الإسلامي – بيروت – 1991 – م : 8- ط : 3 – ص :106.

وهناك من المؤرخين العرب[1] من يذهب إلى القول :أن أصل خيرالدين من الأتراك المسلمين، كان والده يعقوب بن يوسف من بقايا الفاتحين، الذين استقروا في جزيرة مدلي[2] إحدى جزر الأرخبيل، "وذلك بناءا على نقش موجود على رخامة كانت موضوعة على باب حصن شرشال[3] مكتوب عليها :"هذا برج شرشال أنشأه المجاهد محمود بن فارس التركي[4] في خلافة الأمير الحاكم بأمر الله المجاهد في سبيل الله أروج بن يعقوب بإذنه بتاريخ أربعة وعشرين وتسعمائة (1518م) " ونقش آخر على رخامة أخرى كانت على باب مسجد الشواش بالعاصمة : اسم أروج بن أبي يوسف يعقوب التركي"[5] . هذا أصله من جهة أبيه.

أما من جهة أمّه، فالغموض نفسه يحيط بأصله، فبعض المصادر تقول :" أن أمه كانت بنتا لأحد الرهبان الإغريق، من مدينة مدلي التي كانت بها حامية من الترك، تزوجها يعقوب بن يوسف الذي كان بهذه الحامية، بعد إذن السلطان محمد الفاتح[6]، فأنجبت له عروجا وخيرالدين وإسحاق وإلياس .."[7] وهناك من يرى" أن أمه أمه كانت أرملة راهب ثمّ أسلمت واسمها: كاطالنبة"[8]، ويذهب آخرون إلى أن والدة

---

[1]- – محمد يوسف الزياني – دليل الحيران و انيس السهران في أخبار مدينة وهران- تقديم و تعليق :المهدي البوعبدلي – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1979- ص : 183

[2] - مدلي : جزيرة يونانية فتحها السلطان محمد الفاتح سنة 1457م ، وأمر بإبقاء حامية عسكرية فيها .
ينظر – عزيز سامح التر – الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية – ص : 27.

[3]- **شرشال** : مدينة كبيرة جدا وقديمة، شيّدها الرومان على ساحل البحر المتوسط، تحيط بها أراضي فلاحية
ينظر – الحسن بن محمد الوزان الفاسي – وصف إفريقيا – ترجمة : محمد حجي ، محمد الأخضر – دار الغرب الإسلامي – بيروت- ط : 2 –1983– ص : 34.

[4]- **محمود بن فارس التركي**: ولاه عروج على شرشال لما دخلها وجعلها تحت سلطته سنة922 هـ- 1516م.
ينظر– نورالدين عبدالقادر – صفحات في تاريخ مدينة الجزائر– ص : 45.

[5]- أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة – ص: 160.

[6]- **السلطان محمد الفاتح** : هو السلطان محمد بن السلطان مراد، جلس على التخت في سنة ستة وخمسين وثمانمائة، وكان عمره إذ ذاك عشرين سنة، وتوفي سنة سبع وثمانين وثمانمائة، كان من احل ملوك بني عثمان وأكرمهم، وسمي بالفاتح لكونه قد فتح قسطنطينية يوم الأربعاء عشرين جمادى الأخير سنة سبع وخمسين وثمانمائة .
ينظر – محمد البكري الصديقي – فتح الرحمانية في الدولة العثمانية – ظ و :08.

[7]-الأغا بن عودة المزاري – طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى آخر القرن التاسع عشر- تحقيق ودراسة : د/ يحي بوعزيز- دار الغرب الإسلامي- بيروت – ط : 1– 1990 - ص ، ص :251،252 .
- مجهول – مخطوط خبرقدوم عروج ريس وأخيه خيرالدين – المكتبة الوطنية – الجزائر – رقم : 1622- ظ و: 01.

[8]- - عبدالحميد بن أبي زياد بن أشنهو- دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر - ص : 38.

خير الدين ،" كانت امرأة أندلسية أسّرها يعقوب بن يوسف ثمّ تزوجها"[1]. والذي يستخلص من هذا كله أن خير الدين أصله تركي مسلم .

2- مولده:

يكاد يتّفق المؤرخون على أن ميلاد خيرالدين كان بمدينة مدلي، ولكنهم أهملوا تاريخه، إلا القليل منهم فيذكرون:" أن وفاته كانت في شهر ماي سنة1547م الموافق لسنة 954هـ، وهو في سن الثمانين"،[2] أي أن ميلاده كان في حوالي سنة871هـ- 1467م، وهو نفس التاريخ بالتقريب الذي ذكرته الموسوعة العلمية أن خيرالدين ولد سنة870هـ-1466م[3]، وهناك من يقول سنة 879هـ - 1474م[4]. وتبقى المعلومات التاريخية الخاصة بميلاده قليلة.

3 - نشأته:

لقد كان يعقوب بن يوسف منخرطا في الجيش العثماني المرابط بمدينة مدلي التي تزوج فيها، وأنجب أولادا منهم خيرالدين، الذي ولد بها، ونشأ فيها نشأة إسلامية صلبة[5]، في وقت كان الصراع فيه على أشدّه بين المسلمين و النصارى في الشرق والغرب، حيث الأندلس[6] تتهاوى في أيدي النصارى(898هـ- 1492م) في الغرب، والقسطنطينية[7] في يد المسلمين(857هـ- 1453م) في المشرق.فإذا كان أخوه محمد إلياس قد أختار طريق العلم ودراسة القرآن والفقه، فإن الآخرين قد اندفعوا في طريق

---

[1]– أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة – ص :156.
- علي محمد الصلابي – الدولة العثمانية ، عوامل النهوض وأسباب السقوط- دار النشر الإسلامية – مصر- ط: 1 - 2001– ص: 207.

[2]– أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة – ص :317.

[3]- الموسوعة العربية العلمية – مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – 1999 – الرياض- ط :02 -م :4 – ص: 297.

[4] - ينظر –الشيخ أحمد بن عبدالرحمان الشقراني الراشدي – القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط – تحقيق وتقديم :د/ ناصرالدين سعيدوني – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط : 1- 1991- ص:32.
ينظر - عبدالرحمان بن محمد الجيلالي – تاريخ الجزائر العام - الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية – الجزائر - ط :7 – 1994 – ج : 3– ص : 35.

[5] - ينظر- جون ب.وولف – الجزائر واوربا - ص : 28.

[6]- **الأندلس:** جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الأحوال.
ياقوت الحموي – معجم البلدان – ج : 1 – ص : 262.

[7]- **القسطنطينية**: كانت دار ملك الروم، عمرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه، فتحها السلطان محمد الفاتح سنة 857هـ.
ينظر – ياقوت الحموي – المصدر السابق – ج : 4 – ص :347.

الجهاد، واختاروا البحر ميدانا لهم في بداية أمرهما، حيث كان خيرالدين وعروج يعملان في البحر لحسابهما الخاص، فكانا يتعاطان التجارة[1]،"ولكن إسلامهما المتين هو الذي حتّم عليهم الجهاد البحري لإنقاذ المضطهدين في الأندلس ولافتكاك بعض الموانئ التي سقطت في قبضة الإسبانيين"[2]، لقد كان خيرالدين في بداية جهاده تحت إمرة أخيه عروج ، ثمّ اكتسب شهرة واسعة لمهارته وشجاعته .

4- صفاته :

امتاز خيرالدين بصفات ، لعل أهمّها:

1 - صفاته البدنية: "كان خيرالدين مربوعا غليظ البنية، جسيما شيئا ما، جاحظ العينين، ضعيف البصر، ألثغ لا يظهر لثاغه ، وكان كثيف اللحية وأشقرها،"[3] ولذا سمي ب"بربروس " أي ذي اللحية الشقراء[4].

2 – صفاته الحسية: ومنها:

ا- الشجاعة: تكاد تتفق معظم المصادر التاريخية على أن خيرالدين كان شجاعا لا يهاب أحدا ، وما تذكره (المصادر) على سبيل المثال لا الحصر: لما قتل إسحاق وعروج في قلعة بني راشد[5] وضواحي تلمسان[6] على التوالي سنة 924هـ-1518م[7]، توجه النصارى في جيش كبير إلى الجزائر[1]، لمحاصرتها مستغلين

---

[1]- خبر قدوم عروج وأخيه خيرالدين – ظ و:01.

[2] - حمدان بن عثمان خوجة - المرآة – تقديم وتعليق :د/ محمد العربي الزبيري- ط :2 – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – 1982 – ص :107.

[3]- عبدالحميد بن أشنهو – دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر – ص : 128.

[4]- ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة – ص : 158.

[5]- **قلعة بني راشد** : تعرف بهذا الاسم نسبة إلى أولاد راشد بن محمد من بطون مغراوة الذين استوطنوا الجبل المطل على تلمسان، وبنوا هذه القلعة في القرن السادس . ينظر – أبو عمر بن عثمان القلعي – قلعة بني راشد – مخطوط موجود عند الأستاذ : حمدادو بن اعمر – أستاذ بكلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية - وهران. هذا المخطوط نشره، ودرسه الأستاذ محمد بوركبة في المجلة الجزائرية للمخطوطات التي تصدر عن مخبر المخطوطات بجامعة وهران، ينظر – محمد بوركبة – جوانب من مخطوط:" قلعة بني راشد للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي – المجلة الجزائرية للمخطوطات – العدد:01 – 1424هـ/ 2003م - مكتبة الرشاد للطباعة والنشر – الجزائر – ص: 106.

[6] - **تلمسان** : مدينة كبيرة في سطح جبل ،وهي قاعدة المغرب الأوسط، ولها أسواق ومساجد ومدارس وفنادق على النمط الإفريقي وأشجار وأنهار. بلغت درجة عالية من الإزدهار خاصة في عهد الزيانيين.
ينظر – أبو عبيد البكري – المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب – دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – ص : 76. وينظر – الحسن الوزان – وصف إفريقيا – ص : 17.

[7]- كورين شوفالي – الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر – ص :36.
ينظر- خبر قدوم عروج وأخيه خيرالدين إلى الجزائر – ص و :14..

الظروف التي كان يمرّ بها خير الدين، جرّاء وفاة أخويه، فوجّهوا إليه كتابا يهددونه فيه، فذكروا له ما آل إليه أخواه، فكان جواب خيرالدين :"إن جماعتنا الذين ماتوا في حربكم أحياء يرزقون عند الله قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، فهم يتقلبون في قصور وأنهار، ويتنعمون بحور عين ولهم الدراجات العلى لكونهم باعوا أنفسهم إلى الله، ونحن راغبون في جهادكم، فإما الظّفر بكم، أو نحصل ما حصل إخواننا من كرامة الله سبحانه ورضوانه، فأجهدوا علينا جهدكم، فما دمنا معشر الغزاة بقيد الحياة فإنّكم لا تظفرون من الجزائر بحجر من أحجارها، وليس بيننا و بينكم إلاّ السّيف حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ...واستعد خيرالدين للقائهم غاية الاستعداد"[2]. كان هذا جواب خيرالدين على كتاب النصارى، وهو في جيش صغير مقارنة بجيش العدو[3] إضافة إلى ظروفه النفسية السّيئة، و رغم هذا كله إلاّ أنه كان شجاعا في محاربة الأعداء، وكان النصر في الأخير حليفا له، كما تشهد كل أعماله العسكرية سواء في الجزائر أو في البحر أو في أوربا[4] على قوته وشجاعته[5] .

ب – ملازمة العلماء[6]و الأخذ برأيهم:

ينظر- محمد بن رقية التلمساني – الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الجنود الكافرة – مخطوط - رقم : 2603 - المكتبة الوطنية - الحامة – الجزائر- ص: 78

[1] - **الجزائر**: جزائر بني مزغنة ، وهي مدينة كبيرة قديمة البنيان ، كانت دار مملكة لسالف الأمم ، لها مرسى مأمون يقصد إليه لأهل السفن من افريقية والأندلس وغيرهما، بها دور جميلة وأسواق منسقة، لكل حرفة مكانها الخاص، يحيط بها العديد من البساتين والأراضي المغروسة بأشجار الفواكه.

ينظر – أبو عبيد البكري – المصدرالسابق – ص : 66.

ينظر – الحسن الوزان – المصدر السابق – 37.

[2] - خبر قدوم عروج وخيرالدين – ظ و: 14.

محمد بن رقية التلمساني – المصدر السابق – ص: 78.

[3]- كانت هذه الواقعة يوم 1518/08/17م الموافق لسنة 924هـ وكان جيش خيرالدين يتكون من خمسة إلى ستة آلاف رجل فقط، أما جيش النصارى فيتكون من أكثر من 5000 رجل.

كورين شوفالي – المرجع السابق – ص:41 .

[4] - ستذكر هذه الأعمال التي هي موضوع البحث في الفصلين الثاني والثالث.

[5] - حمدان بن عثمان خوجة – المرآة – ص : 108.

ينظر – البيردوفال – الريس حميدو – تعريب : د/ محمد العربي الزبيري – المؤسسة الجزائرية للطباعة – الجزائر – ص : 5.

ينظر – أندري كلو – غازي الغزاة سليمان القانوني - ص : 131.

بوشنافي محمد – الجيش الإنكشاري – رسالة ماجستير – إشراف :أ.د/بوعلام بلقاسمي – ص : 15.

[6] - العلماء : من بينهم: أ- **الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي**، نزيل الجزائر، كان عالما مشاركا متفننا صاحب التأليف العديدة، كان يصرح برأيه جهارا بلا تردد ولكنه كان صاحب حق وإنصاف، كان خطيبا فصيحا له دراية واسعة في شؤون الإدارة والسياسة،وكان له جاه عظيم لدى ولاة الأمر، عين للسفارة إلى سلطان المغرب الأقصى.

تذكر لنا بعض المصادر العربية أن خيرالدين كان يلازم العلماء، ويأخذ عنهم خاصة في فصل الشّتاء حينما ينقص العمل البحري بسبب هيجان البحر[1]، وكان يشاورهم في أمور كثيرة، فينفذ أحكامهم المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه و سلّم – دون أن يستبدّ برأيه، وهو الحاكم ولو اختلف معهم، مثلما وقع مع الأسرى الذين أوجب القتل في حقهم من طرف العلماء بعد محاولتهم التمرّد، فعرض على خيرالدين مائتين ألف دينار مقابل العفو عنهم، فأخذته الشفقة عليهم، فطلب من العلماء العفو عنهم فأبوا، فنفّذ خيرالدين حكم الجماعة ولم يخالف[2].

ج - الزهد والتقوى:

إن ترعرع خير الدين في حضن الجهاد، وملازمة للعلماء كما أسلفت الذكر، هي عوامل جعلت من خير الدين رجلا ذا عقيدة إسلامية متينة، باع نفسه إلى الله، فنجده مقداما في المعارك كما سيأتي في الفصلين الآتيين من هذا البحث، لا يتوانى في نجدة المستنجدين به من المسلمين المستضعفين[3]، ولوعا بالجهاد لا يتقاعس لحظة في محاربة الأعداء أو المتعاونين معهم . ويذكر في بعض المصادر أنه كثيرا ما كان يرى النبّي – صلى الله عليه وسلم – في المنام، خاصة في الأوقات الحرجة التي كان يمرّ بها، مثلما هو الحال حينما كشف له في المنام محاولة تمرد الأسرى[4]، أو كما كان

ب- **الشيخ إبراهيم السلامي البحري** أصله من مدينة بوسعادة استشهد بالجزائر في حصار قلعة البنيون الذي فرضه جيش خيرالدين على نصارى هذه القلعة في شهر رمضان سنة 936هـ/ ماي 1530.وضريحه ما زال إلى يومنا هذا المكان الذي استشهد فيه تحت قبة بناها عليه خيرالدين .
ينظر- أبو القاسم محمد الحفناوي – تعريف الخلف برجال السلف– موفم للنشر – الجزائر – 1991 – ج :1 – ص : 264.
ينظر – نورالدين عبدالقادر – صفحات في تاريخ مدينة الجزائر – ص : 53.

[1] - خبر قدوم عروج و خيرالدين – ظ و: 11.

[2] - محمد بن رقية االتلمساني – الزهرة النائرة... – ص :79 .
خبر قدوم عروج وخيرالدين – ظ و :11..

[3] -ينظر – عبدالجليل التميمي – رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م – المجلة التاريخية المغربية – العدد :03 - تونس – جويلية 1975- ص ص : 45،46.
احمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة... – ص : 157.

[4] - خبر قدوم عروج وأخيه خيرالدين – ص و:16..

بجيجل[1] بعد مغادرته لمدينة الجزائر سنة 927هـ- 1520م[2]، وأصبحت بيد احمد بن القاضي[3]، "رأى في المنام كأنه يحمل أثقاله و أسبابه إلى البحر برسم السفر وكان النبي– صلى الله عليه وسلم يعينه في حملها ويساعده عليه، فلما انتبه من هذه الرؤيا عزم على السفر"[4] نحو الجزائر، وقبل أي عمل يقوم به، كان يبيت ليله راكعا ساجدا مبتهلا إلى الله سبحانه وتعالى مستخيرا له[5]، راغبا منه التوفيق.

ومن صفاته أيضا:

د- الحلم والرأفة: فعلى الرغم من أنه كان شديدا على الكفار، يمثل مصدر رعبهم وهلعهم، إلا أنه تأخذه الشفقة على الذين يسقطون عنده من الأسرى، فيعاملهم معاملة إنسانية، فيوفر لهم المأكل والمشرب والملبس، وأحيانا يطلب من مجلس العلماء لهم العفو مثلما سبق ذكره، ونضيف إلى ذلك أن أحمد بن القاضي حينما رأى أنه لا حيلة له بعد فشله في محاولة التمرد إلا في مصالحة خيرالدين، بعث له أكابر قومه ومشايخهم يطلبون منه العفو والصفح، وكان خيرالدين رجلا حليما، وقبل ذلك منهم[6].

و – الحنكة السياسية: لقد عرف خيرالدين بحنكته السياسية، وحسن التصرف في الأمور، و "كان يمتاز بهدوء أعصابه تجاه الأزمات التي كانت تواجهه، فهو لم يكن

---

[1]- **جيجل** : مدينة صغيرة على ضفة البحر المتوسط، ذات أراضي فلاحية تنتج الكثير من الفواكه مثل التفاح والعنب، وبها الزروع المختلفة،كما تنتج الألبان والسمن والعسل، وكان سكانها يحملون سلعهم إلى بجاية القريبة منهم،على بعد حوالي خمسون ميلا، بها مرسان .
ينظر - محمد بن عبد المنعم الحميري – الروض المعطار في خبر الأقطار – تحقيق :د/ إحسان عباس – مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – ط : 02 – 1980– ص : 184.

[2]- ينظر - كورين شوفالي – المرجع السابق – ص :46.

[3]- **احمد بن القاضي** : المعروف بالزواوي ،كان السبب في دخول الأتراك لمدينة الجزائر ، وقتل من طرف جيش خيرالدين في العشرة الثالثة أنظر –محمد بن عسكر الحسني الشفشاوي – دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر – تحقيق :د/محمد حجي – منشورات مركز التراث الثقافي المغربي – المغرب – ط : 3 – 2003 – ص : 114.
ينظر – محمد بن يوسف الزياني – دليل الحيران وأنيس السهران ... – ص :176.

[4] - خبر قدوم عروج وأخيه خيرالدين - ظ و: 23..

[5] - المصدر نفسه – ظ و:28.

[6] - ينظر - المصدر السابق – ظ و: 21.
ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة – ص: 204.

يعرض نفسه للخطر إلا بشكل نسبي، وبالحدود التي ترهب أعداءه، وترفعه لدى أصدقائه، وقبل القيام بتنفيذ أي عمل كان يقوم بدراسته، وفهم أبعاده ومحصلة نتائجه، فكان يبتعد عن زج نفسه في أي خطر لا لزوم له، وبنفس الوقت إذا اتخذ قرارا ما، كان يعمل على تنفيذه تنفيذا كاملا"[1]، فبعدما قُتل أخواه، وخروج ابن القاضي عليه، وقلّة عدد جيشه، رأى أنه من الأحسن الدخول تحت حماية دولة، تمدّه بالعون، للوقوف في وجه الدولة الإسبانية من جهة، والقضاء على المتمردين من جهة أخرى، فأجمع علماء الأمة، وطلب منهم أن يدخلوا في طاعة الدولة العثمانية[2] مقابل أن يستقر هو بينهم.

زيادة على هذه الصفات أنه "كان يحسن عدّة لغات منها : اليونانية، العثمانية، العربية، وشيئا من البربرية والإيطالية والإسبانية والفرنسية"[3].

هذه بعض صفاته، وما يستنتج منها أن الرّجل ذو عقيدة إسلامية متينة ظهرت في سلوكاته وأخلاقه وأعماله.

5- أعماله :من أهم ما قام به خيرالدين ما يلي :

أ- التجارة :

تذكر بعض المصادر أن خيرالدين كان في بداية أمره تاجرا -كما ذكر آنفا - فكان غالبا ما يسافر إلى المدن التالية : أسنانك[4] ، اكربوز[5] وطرابلس الشام[6]، فكان يبيع ما سقط بين يديه من الغنائم[7].

---

[1] - سامح التر – الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية – ص : 71.

[2] - كان دخول الجزائر تحت السلطة العثمانية في أوائل ذي القعدة 925هـ الموافق لما بين 26 أكتوبر و03 نوفمبر 1519م الموافق لسنة 925هـ. ينظر – د/ عبدالجليل التميمي – أول رسالة من اهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م - المجلة التاريخية المغربية – عدد: 06 – جويلية 1976م – ص: 116.

[3] - ابن أشنهو – دخول الأتراك العثمانيين على الجزائر – ص : 158.

[4]- **أسنانك** = سلانيك : وهي مدينة يونانية كبيرة .
غزوات عروج وخيرالدين – ص : 130.

[5]- أكربوز = أجربوز : جزيرة يونانية في بحر الأرخبيل.
المصدر نفسه – ص : 130.

[6]- **طرابلس الشام** : مدينة بالشام، غظيمة،عليها سور صخر منيع ولها رساتيق وأكوار وضياع جليلة وبها من شجر الزيتونه والكروم وقصب السكر وأنواع الفواكه، وضروب الغلات الشيء الكثير، والوارد والصادر إليها شيء كثير، والبحر محيط بها من ثلاثة أوجه.
ينظر – محمد بن عبدالمنعم الحميري – معجم البلدان – ص : 390.

[7]- ينظر – خبر قدوم عروج وأخيه خيرالدين – ظ و: 01.

ب - الوظائف الإدارية:

لقد تدرج خيرالدين في المسؤوليات الإدارية ، فبعد ما استقر بالجزائر رفقة أخيه عروج سنة 922هـ- 1516م[1]، وفتحا ما يمكن فتحه من هذه البلاد في تلك الظروف القاسية، حيث الزحف الإسباني على الموانئ الجزائرية والفوضى في البلاد عارمة فقسّم هو وأخوه الجزائر، فكانت الناحية الغربية لعروج والشرقية لخيرالدين، فاستوطن هذا الأخير مدينة دلس[2]، وجعل معه عسكرا من جماعته، وأقرّ لهم المرتّب ليستعين بهم على فتح ما بقي من تلك الناحية، وجعل في كل موضع من تلك الناحية نائبا من قبله[3] .

ثمّ انتقل خيرالدين من مسؤول على الناحية الشرقية للبلاد، إلى أن أصبح نائبا عن عروج في حكم الجزائر، بعد توجه هذا الأخير إلى الناحية الغربية للقضاء على المتمردين، هناك أمثال أبي حمو التلمساني[4]، فقبل خروجه من الجزائر أستقدم أخاه خيرالدين من مدينة دلس، فلما وصل إليه استنابه بها[5]. ليصبح بعد وفاة أخيه عروج، قائدا أعلى للبلاد[6].

وبعدما أمّن خيرالدين البلاد والعباد من خطر الأسبان، أراد الرجوع إلى إسطنبول[7]، فرفض سكان الجزائر ذهابه، وطلبوا منه البقاء معهم فردّ عليهم بطلب منه متمثلا في الاتصال بالدولة العثمانية، فكان له ذلك وأصبحت الجزائر إيالة عثمانية

---

[1] - ينظر – كورين شوفالي – الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر – ص : 128.

[2] - **دلس**(تدلس) : مدينة بحرية بين بجاية والجزائر، بها سور حصين وآثار ومتنزهات، وبها من رخص الفواكه والأسعار والمطاعم والمشارب ما لا يوجد في غيرها فهي أرض فلاحية .
ينظر – محمد بن عبدالمنعم الحميري – المصدر السابق- 132.
ينظر - أبو راس محمد الناصري المعسكري – الحلل السندسية في شأن وهران والأندلس – تحقيق :أ/سليمة بنعمر – جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – ليبيا – دار حنين للطباعة والنشر – ص :246.

[3] - ينظر- خبر قدوم عروج وأخيه خيرالدين – ظ و: 12.

[4] - **أبو حمو التلمساني**: هو أبو حمو موسى الملقب بأبي قلمون بن محمد الرابع، انتصب على عرش تلمسان قهرا سنة 909 هـ- 1503م، فعزل ابن أخيه محمد السابع، وفي عهده عمت الفوضى في البلاد واضطرابها مما سهل على احتلال اسبانيا للموانئ الجزائرية. ينظر – عبدالرحمان الجيلالي – تاريخ الجزائر العام – ج: 02 – ص: 202.

[5] - ينظر – خبر قدوم عروج وأخيه خيرالدين – ص و: 13..

[6] - ينظر – حنيفي هلايلي - المرسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16م و 17 م – رسالة ماجستير – إشراف :د/ عبدالحميد حاجيات – قسم التاريخ وعلم الأثار – جامعة وهران – 1999 /2000 - ص : 21.

[7] - **إسطنبول** : أسلام بول، أو أرض الإسلام، وهي مدينة القسطنطينية .

وذلك سنة 927هـ- 1520م، ويمنح خيرالدين من قبل السلطان العثماني[1] لقب " بيلرباي " أي باي البايات[2] .

وفي سنة 940هـ- 1533م أستدعي خيرالدين إلى إسطنبول من طرف السلطان سليمان الأول ليمنح لقب قبطان باشا أي أمير البحرية العثمانية، وذلك اعترافا بالمجهودات التي قام بها خيرالدين بالمغرب من جهة ولشجاعته وإقدامه ومعرفته لبلاد أوربا من جهة أخرى[3].

وخلاصة القول أن خيرالدين كان في البداية مسؤولا جهويا بمدينة دلس، ثمّ نائبا عن عروج في حكم الجزائر، ثمّ قائدا عاما للبلاد بعد وفاة هذا الأخير، ثمّ يصبح بيلرباي بعد انضمام الجزائر إلى الإمبراطورية العثمانية، ليكرم بإسطنبول ويمنح إمارة البحرية العثمانية.

6- أثاره: قبل وفاته ترك خيرالدين في الجزائر أثارا بقيت شاهدة عليه منذ ذلك الوقت إلى اليوم منها:

إنشاءه مصنعا للبارود : فلما نقص عليه البارود وأراد فتح حصن البنيون سنة 936هـ- 1529م، أمر أهل الحرفة، أن يصنعوا له البارود، ليضمن مصدرا محليا للأسلحة[4].

ومن منجزاته: الجسر الذي يوصل الجزيرة التي عليه حصن البنيون بمدينة الجزائر، بناه عقب فتح هذا الحصن[5]، كما بنى ضريحا على قبر الشيخ إبراهيم السلامي أحد العلماء الشهداء الذين سقطوا إبان هذا الفتح. وبنى كذلك جامع سافير، ومن المساجد العتيقة في مدينة الجزائر في حي الجبل، بني سنة 941هـ ، أمر ببنائه

---

[1] - السلطان العثماني: سليم الأول.

[2]- ينظر – بوشنافي محمد – الجيش النكشاري – ص : 19.

[3]- ينظر - أبو عبدالله الأعرج السليماني – تاريخ الجزائر عن كتاب الشماريخ - تحقيق :د/ حساني مختار - ص : 202.
ينظر– أحمد توفيق المدني – محمد عثمان باشا ، داي الجزائر 1766- 1791- المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- 1986- ص : 26.

[4] - ينظر – خبر قدوم عروج – ظ و:28.
ينظر – درياس لخضر – المدفعية الجزائرية في العهد العثماني – إشراف :د/ مولاي بلحميسي –معهد التاريخ- جامعة الجزائر –السنة الجامعية : 89/ 90 - ص : 104.

[5] - ينظر – خبر قدوم عروج – ص و : 29.

- كما في العبارة المكتوبة عليه – الفقير إلى مولاه، مملوك مولانا السلطان الكبير المعظم الشهير المجاهد في سبيل رب العالمين، مولانا خيرالدين أيده الله ونصره...وقد بني هذا المسجد على نفقة أحد المنفقين[1].

7- وفاته :

لقد اختلف المؤرخون حول تاريخ وفاة خيرالدين ، فمنهم من يقول أن خيرالدين توفي في شهر جمادى الأولى سنة 953هـ الموافق ل16 يوليو سنة 1546[2]م، و منهم من يقول أن خيرالدين توفي في شهر ماي سنة 1547م[3] الموافق لسنة 954هـ، ومنهم أيضا من يذكر تاريخ 965هـ[4] الموافق لسنة 1557م، لكنهم يتفقون حول مكان وفاته، فيذكرون أنه مات في اسطنبول، تاركا وراءه ولده الوحيد حسن، وقد ترك أموالا وفيرة أوقفها لأعمال الخير، ودفن في المسجد الذي بناه في بيوك دره.

وعلى العموم فإن خيرالدين رجل ذو أصول ونشأة إسلامية، كان لها التأثير الحسن في شخصيته، التي ارتبط اسمها بالوجود العثماني بالمغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة بها.

المبحث الثاني: دخول الأتراك إلى الجزائر:

1- الأتراك في الجزائر:

لقد اختلفت المصادر التاريخية العربية حول تاريخ دخول الأتراك إلى الجزائر، فمنهم من يقول أن الأتراك دخلوا الجزائر في سنة خمسة عشر من هذا القرن[5]، ومنهم

---

[1] - نورالدين عبدالقادر – صفحات في تاريخ مدينة الجزائر – ص : 159.

[2] - الموسوعة العربية العالمية – ص : 298.

ينظر- ناصرالدين سعيدوني – ورقات جزائرية ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني – دار الغرب الإسلامي – لبنلن – ط :1 – 2000 – ص : 203.

ينظر – د/أحمد فؤاد المتولي – تاريخ الدولة العثمانية – ص : 264.

[3] - احمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة ... – ص : 317.

[4] - محمد بن يوسف الزياني – دليل الحيران وأنيس السهران... – ص: 183.

[5] - ينظر – عبدالرزاق بن حمادوش الجزائري – رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان الحال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال – تقديم وتحقيق وتعليق: د/أبو القاسم سعد الله – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1983 – ص :228.

ومنهم من يقول أنهم دخلوها في سنة 917هـ- 1511م[1]، وهناك من يقول سنة ثلاث وعشرين من القرن نفسه[2]، وهناك قول آخر وهو سنة خمسة وعشرين منه[3]، وقال أحدهم[4] في رجزه :

في كه من القرن العاشر كان ابتداء الترك للجزائر.

أما بعض المراجع العربية فترى أنّ أول دخولهم إلى الجزائر كان سنة 918هـ- 1512م، حيث حاول عروج وأخوه خير الدين استرجاع بجاية[5] من يد الأسبان، وفي سنة 920هـ- 1514م يحاصر بجاية محاولا استرجاعها، لكنه فشل واستطاع أن يخلص مدينة جيجل من أيدي الجنويين[6] في هذه السنة، التي تعتبر أول سنة يستقر فيها الأتراك ببلاد الجزائر، أما مدينة الجزائر فاستقر بها عروج واتخذها قاعدة لعملياته الحربية سنة 922هـ - 1516م[7].وهذه المعلومات نفسها عند بعض المؤرخين الأوربيين[8] .

ينظر – الشيخ أحمد بن عبدالرحمان الشقراني الراشدي – القول الأوسط في اخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط – ص :32.

[1] - ينظر - أبو عبدالله الأعرج السليماني – تاريخ الجزائر عن زهرة الشماريخ – ص : 193.

[2] - ينظر – عبدالرحمان الجامعي – فتح وهران – مخطوط – رقم : 2521 – المكتبة الوطنية – الجزائر – ظ و : 20.

- ينظر- أبو راس محمد الناصري المعسكري – الحلل السندسية في شأن وهران والأندلس – ص :509

ينظر – محمد الصغير الإراني – نزهة الحادي بأخبار القرن الحادي – تقديم وتحقيق:عبداللطيف الشادلي- ط: 01 – مطبعة النجاح الجديدة - المغرب-1998 – ص: 51.

[3] - ينظر – اغا بن عودة المزاري– طلوع سعد السعود – ص : 252.

ينظر - محمد بن يوسف الزياني – دليل الحيران وأنيس السهران – ص : 178.

ينظر - محمد بن رقية التلمساني – الزهرة النائرة – ص :24.

– أحمد بن محمد بن علي سحنون الراشدي – الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني –تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي – مطبغة البعث- الجزائر – 1973 – ص: 252.

[4] - المقصود به هو مسلم بن عبدالقادر الحميري في قصيدته في دخول الكفار الجزائر.

مسلم بن عبد القادر – أنيس الغريب والمسافر – تحقيق: رابح بونار –الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – 1974 – ص: 34.

[5] - **بجاية** : مدينة عتقة بناها الرومان في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط، فيها جوامع ومدارس يكثر فيها الطلبة واساتذة الفقه والعلوم، كان أهلها على قدر عظيم من الغنى .

ينظر – الحسن الوزان – وصف إفريقيا – ص :50.

[6] - **الجنويون** : هم من أهل مدينة جنوة الإيطالية، احتلوا مدينة جيجل سنة 1260م.

ينظر – أحمد توفيق المدني – محمد عثمان باشا داي الجزائر – ص : 23.

[7] - ينظر – ناصر الدين سيعيدوني – ورقات جزائرية – ص :201.

ينظر – احمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة ... – ص ص:163،174.

[8] - ينظر كولين شوفللي – الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر – ص : 128.

والخلاصة أن الأتراك دخلوا تراب الجزائر بعد احتلال إسبانيا للموانئ الجزائرية، أي بعد احتلال مدينة بجاية سنة 916هـ- 1510م، وكان استقرارهم بها كان في البداية في مدينة جيجل سنة920هـ- 1514م بعد محاولة استرجاعها. وهناك من المؤرخين[1] من يرى أنّ عروج كان يعرف هذه المنطقة قبل احتلال اسبانيا لوهران وكان يتردد على أعلامها، فقد التقى بالشيخ أحمد بن يوسف الملياني[2].ولكن كيف تمّ الاتصال بهم؟

وهناك من المؤرخين من يرى أن أهل الجزائر قد اتصلوا بالسلطان العثماني سليم مباشرة، وهو الذي جهزّ الجيوش لعروج وخيرالدين وبعثهما إلى الجزائر[3] وهناك من يرى أنهم اتصلوا مباشرة بالإخوة بربروس لما كانا بالدولة الحفصية[4] يغزوان بلاد النصارى[5].

2- أسباب مجيئهم إلى الجزائر: لقد دخل الأتراك الجزائر، وحكموا فيها مدة تفوق ثلاثة قرون، فكانت هناك عوامل، وأسباب ساعدتهم على ذلك منها:

أ- الوضع السياسي المتردي للمغرب الإسلامي قبيل دخول الأتراك:

---

[1] - ابن الصباغ – زمزم الأخيار – ص و: 98.

[2] - **أحمد ين يوسف الملياني**: نزيل مدينة مليانة ، وهو من أكابر مشايخ الصوفية، كان عارفا بالله تعالى، حيث برع في علم العقيدة. توفي في السنة العشرة الثالثة من القرن العشر الهجري. ينظر- محمد بن عسكر – دوحة الناشر – ص: 112.

[3] - ينظر – المزاري – طلوع سعد السعود... – ص :244.
ينظر – محمد بن يوسف الزياني – دليل الحيران وأنيس السهران... – ص : 176.
ينظر – أبو راس الناصري – عجائب الأخبار- ص : 76.

[4] - **الدولة الحفصية** :(1229 – 1574م) وقد اتسع حكمها تونس والجزائر الشرقية حيث دخلت قسنطينة وعنابة وحتى بجاية في حكمها وطرابلس .
ينظر – محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بإبن أبي دينار – المؤنس في أخبار إفريقية وتونس – دار المسيرة – بيروت– ط : 03 – 1993– ص : 201.

[5] - " لقد اختلف المؤرخون في الشخصية التي وجهت الدعوة للإخوة بربروس : فمنهم من يشير إلى أن السلطان الحفصي في تونس ، ومنهم من يتكلم عن والي بجاية المطرود ، ومنهم من ير أن أبا بكر والي = قسنطينة الذي كان في صراع مع الإسبان هو الذي دخل في مفاوضات مع خيرالدين في كيفية طرد الإسبان من بجاية ". صالح عباد – الجزائر خلال الحكم التركي 1514 ، 1830 – دار هومة – الجزائر – 2005 – ص : 44.
ينظر – خبر قدوم عروج وخيرالدين – ظ و: 09.

لقد كان المغرب الإسلامي منقسما – كما أسلفت - إلى دول ثلاث: الحفصية بالمغرب الأدنى، والزيّانية[1] بالمغرب الأوسط، والوطّاسية[2] بالمغرب الأقصى، وكانت هذه الدول متناحرة فيما بينها، كل واحدة تحاول التوسع على حساب الأخرى[3]، في الوقت نفسه كان الغرب النصراني (اسبانيا مثلا)، يشهد التطور في مختلف المجالات خصوصا في مجال الاستكشاف الجغرافي، الذي أدى إلى التوسع الاستعماري .

ورغم الخطر الداهم، لم يحاول حكام هذه الدول المتناحرة توحيد جهودهم للوقوف في وجه هذا الخطر، بل لم يحاولوا تحضير أنفسهم لصد عاصفة الحروب الصليبية، والذي كان كل شيء ينذر بأن ثقلها سيتحول نحو الغرب الإسلامي، خاصة بعد سقوط الأندلس سنة 898هـ- 1492هـ[4]، ومحاولة تصفية الوجود الإسلامي من منطقة شمال إفريقيا، في إطار حركة الاسترداد[5]، مع ملاحقة مسلمي الأندلس الذين

---

[1] - **الدولة الزيانية** : (1236- 1550م) عاصمتهم تلمسان، مؤسسها هو أبن تاشفين. لقد شهدت هذه الدولة في أواخرها ضعفا مما ساعد على دخول الإسبان في السواحل التابعة لها كما استولى العثمانيون على ضواحيها.
ينظر - أبي زكريا يحي بن خلدون– بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تقديم وتحقيق وتعليق :د/ عبدالحميد حاجيات – المكتبة الوطنية – الجزائر- 1980 -.ج : 1 – ص : 204.
ينظر- محمد بن عبدالله التنسي – تاريخ بني زيان ملوك تلمسان – تحقيق وتعليق : محمود بوعياد – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1985- ص : 111.
ينظر - محمد بن عبدالقادر الجزائري – تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبدالقادر – شرح وتعليق : د/ ممدوح حقي– دار اليقظة العربية– ط : 02 – 1964– ج : 01 – ص : 85.

[2] - **الدولة الوطاسية** : (876هـ - 961 هـ) كان أول سلطان لها هو السلطان عبدالله بن محمد الشيخ وآخرهم هو أبو الحسون ، وهم فرع من المرينيين.
ينظر – محمد بن عبدالقادر الجزائري – المصدر نفسه – ص : 75.
ينظر- أبو راس- الحلل السندسية – ص : 252.

[3] - لقد احتل أبو فارس عبدالعزيز الحفصي ملك تونس في شهر ماي سنة 1424م مدينة تلمسان، وواصل بعده حفيده أبو عمرو عثمان إلى أسوار هذه المدينة عام 866هـ /1462م ثم مرة اخرى سنة 870هـ /1466م ليوطد الأمن فيها حتى مات سنة 893هـ / 1488م.
ينظر – الحسن الوزان – وصف إفريقيا – ص: 08.
ينظر - محمد العروسي المطوي – السلنطة الحفصية: تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي – دارالغرب الإسلامي- بيروت –1986 – ص ص:570 –573.

[4] - واشنطون ايرقينج – سقوط غرناطة - ترجمة وتعليق : إسماعيل العربي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1988 – ص : 467.

[5] - حنيفي هلايلي – المورسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16م و17م –إشراف: د/ عبدالحميد حاجيات – رسالة ماجستير – قسم التاريخ وعلم الأثار – جامعة وهران – 1999م /2000م – ص: 123.

التجؤوا إلى سواحل هذه الدول[1]، حيث بلغ عددهم بمدينة الجزائر وحدها حوالي خمسة عشر ألف نازح[2]، "بعد أن كان الضغط متزايدا عليهم، مما دفعهم إلى المخاطرة بأنفسهم، وأولادهم في سبيل الهجرة إلى شمال إفريقيا ، نجاة بدينهم وحريتهم وأعراضهم رغم ما في هذه المخاطرة من عواقب وخيمة "[3] .وبذلك كانت هذه المنطقة برمتها مهيأة للاحتلال.

ب - ضعف الدولة الزيّانية:

لقد كان الوضع الداخلي بالمغرب الأوسط يتصف بالفوضى والتفكك، بسبب انحصار الدولة الزيانية في تلمسان والغرب الجزائري، وتعرضها في تلك الفترة إلى اضطرابات داخلية، وكثرة التنافس بين الطامعين في الحكم، "فلم يهنأ لهم (للزيّانيين) في الملك قرار، ولا استقرت بهم في المملكة دار، فلم يكن للمسلمين حينئذ غناء ولا دفاع، ولم يبق لهم طمع باجتماع لعدم من يجمع كلمتهم"[4]، وفي الوقت الذي غابت فيه السلطة المركزية، كانت المدن الساحلية تكوّن دويلات مستقلة، مثل إمارة كوكو بقيادة الشيخ أحمد بن القاضي، ومدينة الجزائر التي كانت تحت نفوذ الشيخ سالم التومي[5] .

هكذا كانت الوضعية السياسية للبيت الزياني، وهذا ما جعله حبيس المشاكل الداخلية، التي منعته من صد أي اعتداء خارجي.

ج - سقوط المدن الساحلية:

---

[1] - ينظر – محمد الطمار – الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر- 1983 – ص : 232.

[2] - ينظر F. Braudel ;Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577. in Revue Africanne.1928. p : 358.

[3] - محمد رزوق – الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 ،17 – إفريقيا الشرق – المغرب – 1991 – ص : 81.

[4] - أبو زيد عبدالرحمان الجامعي الفاسي – فتح وهران – ظ و :05.

[5] - **سالم التومي** : شيخ مدينة الجزائر، وهو من قبيلة ثعلبة ، استولى على الحكم بالجزائر عند ما احتل الإسبانيون بجاية، واستقر عدة سنوات، إلى أن أتى عروج الجزائر واستقر بها سنة 922هـ- 1516م بطلب من أهالي هذه المدينة، ولما رأى أن أمور الحكم خرجت من يديه، بدأ في تدبير خطة للتخلص من عروج وجماعته ففطن له عروج، فقتله.

ينظر – الحسن الوزان – وصف إفريقيا – ص: 39.

إن هذه الأوضاع السياسية السيئة للمغرب الأوسط، خلال هذه الفترة، شجّعت الأسبان على التوجه نحو السواحل الجزائرية[1]، فاستولت على ميناء المرسى الكبير[2] سنة 911هـ- 1505م، وعلى وهران[3] سنة 915هـ- 1509م[4]، وبجاية سنة 916هـ- 1510م، بعدما تعرض سكان هذه المدينة لمذبحة شنيعة، اقترفها جند الأسبان، حيث راح ضحيتها ما يقارب أربعة ألاف شخص منهم، وقد تفنّن الأسبان في السلب، والنهب والتنكيل[5]، مما جعل بقية المدن الجزائرية تخشى التعرض للمصير نفسه، فسارعت بعضها مكرهة إلى الموافقة على الدخول تحت حمايتهم (الأسبان)، وذلك في انتظار الوقت المناسب لرفع هذا القمع، ومن بين المدن التي أعلنت خضوعها للأسبان : تنس[6]، دلس، مستغانم[7] ومدينة الجزائر التي تعهدت بدفع ضريبة ضريبة للعرش الإسباني[1].

---

[1] - لمزيد من المعلومات ينظر

M.Leon Galibert ;LAlgerie ancienne et moderne ; Paris ; Furnes et Cie éditeur ;1846 ; p90.

Laugier de Tassy ; Histoire du royaume d'Alger ; paris ; ed Loysel ; 1992 ; p 20.

ينظر – محمد حجي – الحركة الفكرية بالمغرب في العهد السعديين– مطبعة فضالة – المغرب – 1976 – ج: 1 – ص: 38.

[2]- **المرسى الكبير** : مدينة صغيرة أسسها ملوك بني زيان على ساحل البحر المتوسط بعيدة بضعة أميال عن وهران ،ومعناها الميناء الكبير وهو في مأمن من كل عاصفة وإعصار .

ينظر – الحسن الوزان – وصف افريقيا – ص : 31

ينظر – أبي عبيد البكري – المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب – ص: 81.

[3] - **وهران** : مدينة على ساحل البحر، عظيمة ذات مساحة واسعة، وبساتين وأشجار، وبروج وقصور وفنادق وحمامات وشوارع ورياضات، بناها ملوك مغراوة في أيامهم، مقصودة للعلماء والتجار وسائر أرباب البضائع، سكانها معضمهم من الصناع و الحاكة، ظرفاء وكرماء يحبون الغرباء . .

ينظر – أبو زيد عبدالرحمان الجامعي الفاسي – فتح وهران – ظ و : 05.

ينظر الحسن الوزان – المصدر السابق – ص : 31.

ينظر – محمد بن يوسف الزياني – دليل الحيران وأنيس السهران – ص:23.

[4] - لقد احتل الإسبان مدينة وهران بمداخلة اليهودي الزواي ابن كيسة الذي أتى بجيش النصارى للمدينة وأدخله بها سرا . ينظر- محمد بن يوسف الزياني – المصدر السابق – ص : 142,

[5] - ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة بين الجزائر وإسبانيا - ص : 122.

[6] . - **تنس** : مدينة عتيقة بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط، سكانها أقوام فظاظ غلاظ، إقليمها ينتج الكثير من القمح والعسل.

ينظر – الحسن الوزان – وصف افريقيا – ص :35.

[7] **- مستغانم** : مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط، بها صناع كثيرون ينسجون الأقمشة، ودورها جميلة، وسقاياها عديدة، وفي خارجها عدة بساتين جميلة، وجميع الأراضي المحيطة بها جيدة للفلاحة وخصبة، وبها ميناء كثيرا ما تقصده السفن الأوربية.

ينظر - الحسن الوزان – وصف افريقيا – ص : 32.

" إن قائد ومرابطي وشيوخ مستغانم ومزغران وكذلك جميع السكان من عرب ويهود يلتزمون بخدمة جلالة ملك قشتالة بأمانة وإخلاص ويدفعون له كلى المكوس، الضرائب والإتاوات التي كانوا يدفعونها من قبل لملك تلمسان،

د - سياسة الأسبان في المدن المحتلة:

ولم يكتف الأسبان باحتلال المدن السابقة الذكر، وفرض الضرائب على السكان فقط، بل شيّدوا قلعة على الصخرة المقابلة لمدينة الجزائر من جهة البحر، وتسمى بقلعة البنيون[2]سنة 916هـ- 1510م، وذلك لبسط نفوذهم أكثر في البحر المتوسط، وجعل مدينة الجزائر تحت وطأة المدافع الإسبانية المنصوبة في هذه القلعة[3]، بغية "التضييق عليها، وتفتيش الصادرات والواردات من مينائها، وقطع الصلات بين الجزائريين وغيرهم"[4]، كما استعملت إسبانيا الأساليب الاستعمارية للتدخل والظفر بمناطق جديدة، ومنع حدوث أي تكتل، أو تحالف ضد تواجدها، وذلك بمناصرة قبائل ضد أخرى، وحاكم ضد آخر[5]."كما استعان الأسبان بالسكان لالتقاط الاستعلامات، ونشر الأخبار الفاسدة، والأقاويل الزائفة، والأنباء المسمومة لخلق البلبلة، والتشويش، والتفرقة في صفوف الجيوش والشعوب، وإغرائهم على الحروب الأهلية"[6] .

ويكون الدفع بداية جوان كل سنة بين يدي قاضي مدينة وهران ..." هذا نص المعاهدة التي وقعت بين الطرف الإسباني وبين أعيان مستغانم .
ينظر – ص. بيدي – تحريرمدينة وستغانم - مجلة الأسطول – العدد :16 – فيفيري 1999 – ص :78.

[1] - لمزيد من المعلومات ينظر: Colombe .M.L'Algerie Turque in initiation d'Amérique et d'orient. Paris. 1975. p : 102.
Braudel.F. La Méditerranée et le monde mediteraneen à l'époque de Philipe 2.T 2 . Paris . 1949. p : 224.

[2] - **البنيون** : الصخرة العالية .وهي الصخرة التي أحتلها الإسبانيون وبنوا عليها قلعة، وهي بمرسى الجزائر.
ينظر – نورالدين عبدالقادر – صفحات في تاريخ مدينة الجزائر – ص :48.
ينظر – الحسن الوزان - المصدر السابق - ص :38.

[3] - ينظر – الحسن الوزان – المصدر نفسه – ص :38.
ينظر- هونسما، وقسنك....- دائرة المعارف الإسلامية – إعداد وترجمة: ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي ، عبد الحميد يونس - مادة: الجزائر – المجلد: 11 – دار الشعب – ص: 318.

[4] - نورالدين عبدالقادر – المرجع السابق – ص : 53.

[5] - ينظر – عبدالقادر المشرفي الجزائري - بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من بني الأعراب كبني عامر – تحقيق : محمد بن عبدالكريم – ص ، ص : 12، 26.
ينظر – عبدالرحمان الجامعي – فتح وهران – ص و: 05.
ينظر- أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة... – ص ص : 107 – 109.

[6] - أبن اشنهو – دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر – ص : 111.
هناك رسالة وجهها عامل وهران الإسباني الكونت القوديتي في شهر أفريل سنة 1536م لأحد عملائه المدعو حميدة .يطلب فيها بعض المعلومات التي يحتاجها هذا العامل .
ينظر - المجلة الإفريقية - سنة 1877 – ص : 88

هـ - استنجاد السكان بالأتراك:

ولما ضعفت الدولة الزيانية، سقطت بعض المدن الساحلية - كما ذكر سالفا- ، وفرضت الضرائب على السكان من طرف المحتل، ضاقت على المسلمين سبل عيشهم، ولم يطيقوا صبرا على هذه الأحوال، وأصبحوا في ورطة من أمرهم وكان عليهم التحرك بسرعة قصد الخروج منها[1]، فحاولوا الخلاص من بطش الأسبان.

وأمام عجزهم عن ردهم الخطر المحدق بهم، توجهت أنظارهم إلى رجال البحر العثمانيين، الذين كانوا يجوبون البحر المتوسط الغربي، يحاولون إنقاذ مسلمي الأندلس المضطهدين، فأول عمل قاموا به هو الاتصال بالعثمانيين[2] عن طريق أحد شيوخهم، طالبين منهم المساعدة في خلاصهم من قبضة الإسبانيين، مثل الشيخ أحمد بن القاضي – شيخ منطقة القبائل – الذي اتصل بالإخوة عروج وخيرالدين، حينما كانا بتونس، يمثلان قوة إسلامية عظيمة، يغزوان بلاد أوربا، فأوقع بأهلها وقائع شهيرة، حيث كان بغزو ها، ويخرب مدنها، ويأسر منهم، فانتشر خبرهما في المنطقة، فقال لهم:"إنّ بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب، فأقبل الترك نحوه مسرعين"[3]. فحاصروا بجاية على مرتين(سنة 918هـ- 1512م و920هـ- 1514م) محاولين أخذها من أيّدي الاسبانيين، ولم يفلحوا في ذلك، لكنهم استطاعوا أن يدخلوا جيجل، ويؤسسوا أول قاعدة لهم في بلاد الجزائر.

---

[1] - ينظر – محمد الطمار – الروابط الثقافية... – ص :247.

[2] - لقد اختلف المؤرخون في كيفية الإيتصال بالعثمانيين، فمنهم من ير أن الشيخ أحمد بن القاضي هو الذي اتصل بالعثمانيين عن طريق اتصاله بعروج وخير الدين لما كاتا بتونس، وهذا ما ذهب إليه مخطوط " خبر قدوم عروج ....خير الدين" - ص و: 09، ويرى آخرون أن أهل الجزائر اتصلوا بالسلطان سليم الأول مباشرة، وهذا الأخير هو الذي بعث عروج وخير الدين إلى الجزائر. وهذا ما ذهب إليه عبد الله الأعرج الشقراني، في كتابه زهرة الشماريخ - ص: 193.

[3] - الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري – الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقص – تحقيق وتعليق أ/جعفر الناصري و أ/محمد الناصري – دار الكتاب – الدار البيضاء المغرب – 1955 – ج : 2 – ص : 162

كما بعث أهل الجزائر إلى عروج يوم كان بجيجل[1]، يشكون له من النصارى قائلين لهم :"سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد، وأخذتم بجاية، وجيجل من أيدي النصارى، ونصرتم الدين، هنيئا لكم أيها المجاهدون، لابد أن تقدموا إلينا، وتخلصون من أيدي الملاعن الكفرة، لأننا نحن في محنة عظيمة، وذلة شديدة "[2]، فدخل عروج مدينة الجزائر بمساعدة هؤلاء.

وجاءه أيضا وفد من تلمسان يصف له تعفن الوضع السياسي في العاصمة الزيانية، وما انتابها من فوضى واضطراب من جراء تنازع أفراد الأسرة الزيانية وتطاحنهم على السلطة، ويطلب من عروج نجدتهم من السلطان أبي حمو الثالث الذي جلس على عرش تلمسان بإعانة الأسبان وتحت حمايتهم، بعدما أدان لهم بالطاعة وأعلن لهم بالتبعية، وسجن الملك أبي زيان[3]، فلبى عروج دعوتهم واستقبله الأهالي وأعاد الملك لهذا الأخير[4] .

هكذا فإن الظروف التي كانت تمر بها الجزائر آنذاك نتيجة سيطرة الإسبانيين على السواحل، وضعف الدولة الزيانية، وعدم قدرتها في الدفاع عن البلاد والعباد، كل هذا دفع بسكان البلاد للاتصال بعروج وأخيه خيرالدين، ملتمسين منهما يد العون في محاربة أعدائهم الأسبان.

3- موقف سكان الجزائر من الأتراك:

وأمام المعانات التي كان الجزائريون يعانون منها إثر سقوط بعض المدن الساحلية في قبضة المحتل الإسباني، وطلب هؤلاء من الأتراك مساعدتهم، وكان لهم ما أرادوا، ودخل عروج وخير الدين الجزائر، فاستقبلوهما استقبال الفاتحين المنقذين.

---

[1] - ينظر – خبر قدوم عروج – ظ و: 10.
ينظر – عزيز سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص : 48.
[2] - أبو زيد عبد الرحمان الجامعي - فتح وهران – ص : ظ و:. 02
[3] **- ابو زيان** : هو السلطان أبو زيان أحمد الثابتي بن عبدالله انتصب على عرش ملك تلمسان سنة 923هـ/ 1517م. ينظر عبدالرحمان الجيلالي – تاريخ الجزائر العام – ج: 02 – ص :223.
[4] - ينظر – محمد بن عمرو الطمار – تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1984 – ص : 229.

وممّا يظهر دعم سكان الجزائر للأتراك في تلك الفترة، وقوفهم إلى جانبهم في العديد من المواقف، ومنها:

أ – المقاومة ضد الأسبان: لما ازداد الضغط الإسباني، وكثرت هجماتهم على السواحل الجزائرية، لم ير سكان البلاد بدا من الانضواء تحت لواء القادة الأتراك في الدفاع عن المدن والمرافئ.

1- المقاومة في بجاية: لقد التحمت صفوف رجال جبال القبائل الذين كانوا تحت لواء قائدهم: أحمد بن القاضي مع جيش عروج، وكونوا قوة واحدة في مواجهة المحتّل الإسباني. فكانت المعارك، ومدة الحصار دليلا على بسالة جيش المسلمين من جهة، ومدى التفاف سكان المنطقة حول جيش عروج، واطمئنانهم له، رغم عدم تمكنهم من فتحها، خاصة بعد فقدان عروج لذراعه، مبيّنا لهم شجاعته، وإخلاصه في الدفاع عنهم. وهذا ما اعتبر دافعا آخرا لمنحه ومن معه كامل الثقة[1] .

2- المقاومة في جيجل: لقد تكررت صورة الالتحام بين الأتراك وسكان البلاد في جيجل، لما عزم عروج على طرد الجنويين منها وفتحها، ويرجع الفضل إلى سكان تلك المنطقة الذين شاركوه في المعارك وآزروه حتى تم الفتح سنة 920هـ- 1514 م[2].

3- المقاومة في مدينة الجزائر: ولما حلّ عروج وجيشه بمدينة الجزائر، بطلب من شيخها سليم التومي، فنجد أن سكان المدينة ينضمون تحت جيشه في مقاتلة الأسبان، وقد أذعنوا له جميعا بالطاعة و الولاء. وهذه الصورة تتكرر لما يتصل به أهل تلمسان .

ب- في حكم عروج: لما وصل عروج إلى مدينة الجزائر سنة 922هـ- 1516م، قابله أهلها " بالعزّ والإكرام "[3]، وحاول فتح حصن البنيون، وتصدى لهجمات الأسبان بشجاعة، كما كانت معاملته مع الأعيان، والعلماء، والسكان جيدة، حيث

[1] - ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة.... – ص : 164.
[2]- ينظر- عزيز سامح التر – الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية – ص: 48.
[3] - عبدالجليل التميمي – أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر ..- المجلة التاريخية المغربية – العدد – 06 – ص:120.

استطاع كسب ثقتهم له، فبدأ ينظم شؤون الجيش والإدارة، وبتطبيقه العدل على الجميع، إضافة إلى استشارة العلماء في أمور البلاد[1] مما أدى هذا كله إلى شعور الجميع بالطمأنينة. وأصبح بذلك عروج هو حاكم الجزائر.

ولكن لما رأى بعض سكان مدينة الجزائر وعلى رأسهم الشيخ سالم بن التومي، أن الأتراك بدؤوا في التحكم في الوضع، أدرك هذا الأخير أن سلطته بدأت تتقلص، ونفوذه بدأ ينقص، فأراد استرجاع مكانته الأولى، ولو على حساب البلاد والعباد، حيث اتصل بالأسبان للاستعانة بهم، ولكن عروج تفطن لذلك، وأمر بقتله ليتخلص من دسائسه، ويستريح منه، ليتفرغ لجهادهم[2]. وبعد هذه الواقعة، حكم عروج المدينة، وفرض إجراءات أمنية مشددة، فخيم السكون والهدوء على مختلف مناطقها ونواحيها.

ج – في حكم خيرالدين: ولما أحسّ خير الدين بوحدته في الجزائر، بعد مقتل أخويه، عروج في ضواحي تلمسان، وإسحاق في قلعة بني راشد، أراد الرجوع إلى إسطنبول، فجمع سكان المنطقة وأعيانها، فخطب فيهم خطبة، عرض فيها الدور الذي أداه في تأمين البلاد من كيد الأعداء، واخبرهم أنه عازم على السفر إلى بلاده، وقال لهم: " اختاروا واحدا منكم من خياركم تقدمونه أميرا عليكم". وكان رد أهل الجزائر:" أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك"[3]. ومازال سكان مدينة الجزائر يترجونه طالبين منه التراجع عن قراره والبقاء معهم، فقبل خير الدين طلبهم، ولكن على شرط إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، فكان له ما أراد.

إنّ إصرار السكان على بقاء خير الدين، لدليل آخر على ثقتهم فيه. وأما شرط خير الدين فهو دليل على حنكته السياسية، حيث استطاع أن يقنع الجزائريين بإلحاق بلادهم بالدولة العثمانية من جهة، وعلى تبصّره بالظروف المحيطة به من جهة أخرى، لأنّه كان يعرف الكثير عن نوايا الإسبان، وعن مدى أطماعهم في شمال إفريقيا، وكان يشعر بأخطار الهجمة الإسبانية على الجزائر، وأنّه غير قادر على

[1] - ينظر - عزيز سامح التر – المرجع السابق – ص : 53.
[2] - ينظر – أحمد بن محمد بن علي سحنون - الثغر الجماني... – ص:17.
ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة... – ص :174.
ينظر – د/أحمد السليماني – تاريخ مدينة الجزائر – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر- ص : 11.
[3] - خبر قدوم عروج وخيرالدين – ص و:17.

مقاومة القوات الإسبانية لوحده[1]. ولذلك قرّر أن يتصل بالسلطان العثماني سليم الأول، ويعرض عليه خدماته، ويظهر له الطاعة والولاء، لكي يضمن لنفسه سندا قويا، في مواجهة الأسبان.

غير أن الذين اعتادوا على الفوضى السياسية، وكان لا يهمهم شيئا سوى التملك وبسط النفوذ، رأوا في وجود الأتراك، وحكمهم للبلاد خطرا على مصلحتهم السياسية والاقتصادية، فدبّروا المكائد لخير الدين[2]. فمنهم من اتصل بالإسبان، ليردّوا له ملكه الضائع، مقابل دخوله في طاعتهم، وحمايتهم، مثلما هو الحال لبعض ملوك بني زيان[3]. ومنهم من عمل جاهدا على خلق الفتنة في صفوفه (خير الدين) لإضعافه، وقد نجحوا فعلا حينما حاولوا أن يوقعوا بينه وبين صديقه الشيخ أبو العباس أحمد بن القاضي، كما ظهر بعض المتمردين على الحكم[4]. ولكنهم لم يفلحوا في الأخير، حيث قضى خير الدين على كل هؤلاء.

وكل ما سبق يدل على التفاف سكان الجزائر حول جنود خير الدين، ودعمهم ومساعدتهم له. لكن هل كان دخول الأتراك إلى الجزائركان بنية الاحتلال، أم بنية حماية بلاد إسلامية من هجمات صليبية؟

لقد انقسم المؤرخون حول الهدف الذي جاء من أجله الأتراك إلى الجزائر، إلى فئتين : فئة[5] تقول أن مجيئهم كان بسبب استنجاد أهالي الجزائر بهم، لمحاربة المحتل الإسباني- كما ذكر سابقا - وهذه الفئة تقرّ بشرعية الحكم العثماني بالجزائر.

أما الفئة الثانية[6]، فترفض هذه الشرعية، وترى وجود الأتراك بالجزائر هو نوع من الاحتلال، ويشيعون أنّ استقرار الأتراك بالجزائر كان بالقوة والعنف،

---

[1]- حليم ميشال حداد – قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم – المجلد: 28 - قسم الجزائر – بيروت – ص: 119.

[2] - أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – ج: 01 – ص: 200.

[3]- مثل :مولاي عبدالله وأخيه المسعود

[4] - ينظر إلى الفصل الثاني من هذا البحث.

[5] - مثل : أبوراس محمد بن الناصر، الأغا بن عودة المزاري ، أحمد توفيق مدني ، مولود قاسم نايت بلقاسم، وغيرهم.

[6] - هذه الفئة تتكون من مجموعة من المؤرخين الجزائريين وغيرهم أمثال: عبدالرحمن بن أشنهو، مولود قايد، وكورين شوفالييه، بهاغال....

واستعملوا في ذلك كل الوسائل الاجتماعية والسياسية، ولكنهم لم يفلحوا مع القبائل[1]، حيث لم يستطيعوا أن يخضعوهم لحكمهم.

وأصحاب هذا الرأي ينطلقون في تحديد موقفهم من "الاعتبار القومي والتصور الأوربي ومفهوم الدولة، إضافة إلى اعتمادهم على الوثائق الأوربية والمصادر الغربية في دراساتهم"[2].

ولكن رسالة أهل الجزائر إلى السلطان العثماني سليمان، التي يصفون فيها أحوالهم، وظروف اتصالهم بعروج وأخيه خير الدين، واستقبالهم لهما استقبال الفاتحين المنقذين مع ثلة من أصحابهما، تدحض أصحاب هذا الرأي، حينما قالوا: " فقابلناه (أي عروج) بالعزّ والإكرام، واستقبلناه.. وقد حلّ مكانه أخوه ..خير الدين ...فقد دافع عنا، ولم نعرف منه إلا العدل، والإنصاف، والإجلال..."[3] وهذا القول دليل على أن الأتراك لم يدخلوا الجزائر بالقوة، وأنّهم دخلوا في جيش قليل، مما يوحي أنهم لم تكن لهم نية الاحتلال، بل مساعدة أهل البلد على حمايتهم، وصون سواحلهم من هجمات الأسبان، التي قد تشكل خطرا على المنطقة.

وتدلّ دعوة ابن القاضي لعروج في مساعدته، ومشاركة سكان منطقة القبائل في محاولة استرجاع مدينتهم من أيدي المحتّل، لدليل آخر على أن القبائل كانت السبّاقة في دعوة الأتراك، ودعمهم.

و مما سبق أجد أنّ دخول الأتراك إلى الجزائر جاء بطلب من سكانها، قصد رفع الغبن عنهم، وطرد المحتل الإسباني من جهة، وإن تلبية خير الدين وإخوته للنداء، وهم في جيش قليل من جهة أخرى، لدليل على أن الوجود العثماني بالجزائر لم يكن بغرض الاحتلال، وإنما بهدف حماية السواحل ضد هجمات الأسبان التي قد تشكل خطرا على البلاد.

---

[1] - ينظر:
A.BEHAGHEL – L'Algérie : Histoire ,Géographie…- Imprimerie A.Molot.1864 – Alger – p :20.

[2] - ينظر – ناصرالدين سعيدوني – الجزائر: منطلقات وآفاق، مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية – دار الغرب الإسلامي – بيروت- ط : 1 – 2000 – ص : 190.

[3] - عبدالجليل التميمي – أول رسالة من أهالي الجزائر...- المجلة التاريخية المغربية – العدد: 03 – ص:120.

ولكن قد يكون خير الدين وأخوه عروج استغلا هذه الظروف التي كانت سائدة في تلك الفترة، قصد ضمّ الجزائر إلى الخلافة العثمانية، لكونهما كانا يعرفان المنطقة جيدا، وكانا في اتصال مباشر مع مشايخها[1]، إضافة إلى أنهما كانا يرسلان نصيبا من غنائمهما هدية إلى السلطان سليم الأول[2]، مما يدل على أن عمل خير الدين وعروج قد لا يكون عملا منفردا، ومنعزلا عن محاولة الدولة العثمانية ضمّ بلاد الغرب الإسلامي إليها.

وبعد دخول عروج وخير الدين للجزائر، أصبحت لديهم مهمتان عظيمتان، الأولى: توحيد البلاد تحت حكومة ذات سلطة مركزية واحدة، والثانية: استرجاع المدن الساحلية المحتلة، وصون البلاد من هجمات المحتل، ومن أجل تحقيق هذا الهدف المنشود، ظهرت آنذاك عقبتان هما: ظهور مناوئين من أصحاب المصالح الخاصة الضيقة للوجود العثماني من جهة، ووجود النصارى بالمدن الساحلية وإغراءاتهم للسكان من جهة أخرى.

ولبلوغ الهدف الذي قَدِما من أجله، عمل الأخوان معا طيلة حكم عروج. ولمّا مات هذا الأخير، بقي خير الدين وحيدا مع جيشه وسكان الجزائر، يجسد خططه قصد بلوغ الأهداف.

وممّا قام به خير الدين هو محاربة النصارى في المدن الساحلية، وفي الوقت نفسه لاحق المناهضين له. وهذا ما سأبيّنه في الفصل الآتي:

[1] - ابن الصبغ – زمزمز الأخيار – ص و: 98.
[2] - ينظر- خبر قدوم عروج...- ص و: 09.

الفصل الثاني: أعماله العسكرية في الجزائر

المبحث الأول: محاربة النصارى:

أ- قبل سنة 1521م:

1 - بجاية
2 - جيجل
3 - تنس
4 - قلعة بني راشد
5 - حملة هيغو دي منكاد
6 - الأسرى
7 - مستغانم

ب- بعد سنة 1524م:

1 - حصن البنيون
2 - الأسرى
3 - حملة أندوري دوريا
4 - عنابة
5 - حملة شارل كان

المبحث الثاني: ملاحقة المتمردين:

أ- قبل سنة 1521م :

1 - جاسوس جيجل
2 - ملوك تلمسان: عبد الله، مسعود
3 - أحمد بن القاضي
4 - سكان الجزائر

ب- بعد سنة 1524م :

1- أحمد بن القاضي
2 - قارة حسن
3 - مولاي عبد الله.
حسن بن القاضي

قام خير الدين بالعديد من النشاطات العسكرية طوال تواجده بالجزائر منها:

1- محاربة النصارى: لقد حاول خيرالدين في فترة حكم أخيه عروج، أو في فترة حكمه طرد المحتل النصراني (الإسباني والجنوي) من مدن الجزائر الساحلية، وكذا التصدى للهجمات الإسبانية. وذلك خلال فترتين:

أ- قبل سنة 928هـ 1521م: إن أول عمل قام به خيرالدين في الجزائر هو محاصرة الإسبان في بجاية.

1- بجاية : لقد احتل الأسبان هذه المدينة سنة916هـ 1510م، فتعرض أهلها إلى مذبحة شنيعة، فضاق صدر المسلمين من أعمال النصارى، فاتصلوا بالإخوة: عروج وخيرالدين – كما سلف ذكره – فكانت بجاية المحطة الأولى التي نزل بها جيش الأتراك بالجزائر، لمحاربة النصارى، محاولين استرجاعها من قبضتهم، وقد تكررت محاولتهم مرتين قصد ذلك:

فالمرة الأولى كانت في شهر أوت سنة 1512م[1]-918هـ، حيث جاء عروج وخير الدين على رأس إثنتى عشر قطعة بحرية، محملة بالمدفعية، والذخيرة[2]، وأرسى بقرب مدينة بجاية، "فرآ خمسة عشر جفنا قادمين إليها، فاصطدمت سفن الأتراك بهذه السفن، فأغرق عروج واحدة، وأخذ خير الدين واحدة، وفرّ الباقون إلى مرسى بجاية، ثم رجعا إلى المرسى الذي كانا فيه"[3]. وبعد هذا الانتصار، صمم عروج أن ينزل إلى البر، دون موافقة أخيه خير الدين، فلقي حوالي خمسين رجلا من الأسبان فقتلهم ، ثم دنا من مدينة بجاية، وعندها فتح الأسبان النار عليه، فأصيب في ذراعه، واشتدّ عليه الأمر، مما استدعى توقيف العمليات. ونقله إلى تونس للعلاج حيث بترت ذراعه.

---

[1] - ينظر – يحي بوعزيز – علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا 1500، 1830 – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1985 - ص:35.
ينظر ناصرالدين سعيدوني – ورقات وأبحاث - ص :201.

[2]- ينظر :
DIEGO DE HAEDO – Histoire Rois des D'Alger –traduit de l'espagnol par Henri Delmas de Grammont, revue Africaine, ALGER – 1880 - p :17.

[3] - خبر قدوم عروج – ص و:06.

هذه أطوار المحاولة، التي فشل فيها جيش الأتراك في تحقيق هدفهم. والملاحظ على هذه الخطوة التي بادر بها عروج وأخوه خير الدين، أنها جاءت من محض إرادتهما، "فلما سمعا أن بجاية قد أخذها النصارى"[1]، ظهر لهما أن يسترجعاها منهم، عكس ما يشير إليه البعض[2] بأن صاحب تونس – الحسن الحفصي – هو الذي أمرهما بذلك، أو والي بجاية الحفصي – عبدالرحمان – هو الذي طلب منهما هذا العمل[3].

وقد اختلف بعض المؤرخين[4] حول وقائع هذه المحاولة، حيث يوردون أنّ عروج لما قرب من المدينة باشر بالقصف على حصونها، وحاصرها مدة ثمانية أيام، وبعدها أصيب في ذراعه، عكس ما جاء في مخطوط الدراسة الذي لم يذكر أن عروج بادر بالقصف أو حاصرها. فهو يذكر أن عروج لما اقترب من المدينة "رمى عليه الكفار، فأصيب عروج في ذراعه"[5]. كما أن هذا المخطوط لم يشر إلى مشاركة أهل البلد ومنهم أحمد بن القاضي في هذه المحاولة. عكس بعض المؤرخين[6] الذين ذكروا ذلك.

وقد وافق أبو راس[7] ما جاء في مخطوط " خبر قدوم عروج.."، حين قال:" فأذاقوا الكفرة شرا وقهروهم قهرا حتى أن عروج قطعت يداه في بعض الحروب قرب بجاية"[8].

---

[1] - خبر قدوم عروج – ص و: 06.
[2] - ينظر - كورين شوفالييه – الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر - ص : 128.
[3] - ينظر – سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص: 45.
[4] - ينظر – هايدو – تاريخ ملوك مدينة الجزائر- المجلة الإفريقية – 1880- ص: 17.
- ينظر- سامح التر – المرجع السابق – ص: 45.
[5] - خبر قدوم عروج – ص و:06.
[6] - ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة – ص:163.
[7] - **أبو رايس**: هو محمد بن أحمد الناصر ألمعسكري، ولد سنة 1150 هـ- 1737م بضواحي معسكر، وتوفي سنة 1236هـ- 1820م، له عدة تأليف في عدة مواضيع خاصة التاريخ منها: زهرة الشماريخ في علم التاريخ، الدرء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة، لقطة العجلان في نسب يسدي عبد القادر بن زيان....ينظر – حمدادو بن اعمر – أبو راس الناصري المعسكري- رسالة ماجستير – إشراف : ا.د/ بن نعمية عبدالمجيد – قسم الحضارة الإسلامية – جامعة وهران – 2003/2002.
[8] - أبو راس - عجائب الأسفار – ص: 140.

أما المحاولة الثانية كانت في شهر أوت سنة 1514م[1]- 920هـ، وبطلب من علماء بجاية، ومنهم أحمد بن القاضي الذي اتصل بعروج وخير الدين، ودعاهما إلى مساعدتهم لإنقاذ مدينتهم من المحتل الإسباني، وتمّت هذه المحاولة عبر ثلاث مراحل:

أ – ففي المرحلة الأولى تمّ لهم استرجاع قلعة كانت تحت حكم الإسبان، على ساحل مدينة بجاية، الذي نزل فيه الأتراك، حيث حاربوا أهلها، واستولوا عليها، ووجدوا بها نحو مائة اسباني، فأسروهم، وتركوا في مكانهم خمسين من المسلمين لحراستها[2].

ب – المرحلة الثانية: بعد هذا الانتصار، تقدم عروج ومن معه نحو مدينة بجاية، وفي طريقهم لقوا حصنا آخر، حيث وقع بينهم وبين أهل هذا الحصن قتال شديد، دام ثلاثة أيام، ولما علم الأسبان أنهم لا طاقة لهم بالحرب، استسلموا ووقعوا في أيدي المسلمين أسرى، وكان عددهم خمسمائة أسير[3].

ج- المرحلة الثالثة: لما رأى أهل منطقة بجاية هذين الانتصارين، دفعهم حماسهم للالتحاق بجيش عروج مددا له، ومساندة له، حيث انضم إليه حوالي عشرين ألف مقاتل، ثم قصد الجميع المدينة، لاسترجاعها من أيدي الأسبان، حيث استطاعوا أن يحاصروها مدة أربعة وعشرين يوما، وخلال هذه المدة وقع بين المسلمين والأسبان قتال عظيم، حتى فرغ عنهم البارود، في حين جاء المدد الكبير للاسبان، الشيء الذي أعطى التفوق من حيث العدة والعدد لصالح هؤلاء[4]، في الوقت الذي رفض فيه سلطان تونس مساعدة المسلمين المحاصرين لبجاية بالبارود. الشيء الذي كان له الأثر في فشل المسلمين في استرجاعهم مدينة بجاية للمرة الثانية، بعدما استطاعوا أن يحرروا بعض الحصون قرب المدينة.

ويمكن للدارس أن يلاحظ الاختلاف البيّن بين المؤرّخين، في تناول مادة هذه الأحداث التاريخية، فبينما يرى بعضهم أنّ عملية فتح مدينة بجاية تمت على

[1] - صالح عباد – الجزائر خلال الحكم التركي – ص:45.
[2] - خبر قدوم عروج...- ظ و:09.
[3] - المصدر نفسه – ص و:10.
[4] - المصدر نفسه – ص و:10.

مرحلتين، يرى آخرون أنها تمت على ثلاث مراحل[1]، غير أنهم يتفقون على مجريات الأحداث، كأحداث المرحلة الثالثة من المحاولة الثانية التي سبق ذكرها، هي نفسها الأحداث في المحاولة الثالثة عند أهل الرأي الثاني. ويختلفون أيضا حول مدة الحصار، حيث يرى البعض أنه دام أربعة وعشرين يوما[2]، ويراه آخرون أنه دام ثلاثة أشهر[3]، ويمكن ترجيح الرأي الأخير، على اعتبار أنّ القبائل – حسب رواية حسن الوزان- الذي يرجع فشل هذه الأتراك في فتحهم لبجاية إلى تخليها عنهم، وذهابهم إلى حقولهم لزراعتها[4]، وعادة ما يكون موسم الزرع والحرث في شهري أكتوبر ونوفمبر، في حين أن الحصار بدأ في شهر أوت.

لقد كان لنقص الإمدادات، ورفض السلطان الحفصي مدّ المساعدة للأتراك، وطبيعة المنطقة الجغرافية الصعبة، وكثرة عدد النصارى، وعدتهم، وقوة تحصيناتهم، من الأسباب التي أدت إلى فشل خيرالدين وأخيه في هذه المحاولة[5].

وكانت النتيجة في آخر هاتين المحاولتين، أن الأتراك استطاعوا بمعية سكان المنطقة أن يحرروا بعض الحصون القريبة من بجاية، ولكنهم فشلوا في دخول المدينة واسترجاعها[6]، ولم يفتحوها "إلا في سنة إحدى وستين وتسعمائة"[7]الموافق لسنة 1553م.

2- جيجل :

[1] - هناك من المؤرخين من يرى أن محاولة خير الدين وعروج لاسترجاع بجاية تكررت ثلاث مرات: المرة الأولى كانت سنة 918هـ- 1512م، والثانية كانت في سنة 920هـ- 1514م وبعدها جاء فتح جيجل، والثالثة في سنة 921هـ- 1515م انطلاقا من جيجل.
ينظر - يحي بوعزيز – علاقات الجزائر الخارجية مع دول ممالك أوربا - ص:35.
ينظر – ابن اشنهو – دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر – ص : 66.

[2] - ينظر – خبر قدوم عروج – ص و: 10.
ينظر – سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص: 48.
ينظر- نعيمة بوحمشوش – مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية – ص: 34.

[3] - ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة... – ص: 168.
ينظر – صالح عباد – المرجع السابق – ص: 45.

[4] - ينظر - الحسن الوزان – وصف افريقيا - ص : 39.

[5] - ينظر - يحي بوعزيز – المرجع السابق – ص : 35.

[6] - ينظر - محمد صالح العنتري - الفريدة المنسية - :26.

[7] - أبو راس – عجائب الأسفار – ص : 140.

لقد كانت هذه المدينة محتلة من طرف الجنويين منذ سنة 1260م، لما وصل إليها الأتراك مدعمين بسكان المناطق المجاورة، استطاعوا أن يدخلوها بسهولة سنة 918هـ- 1514م[1]، وذلك بعد" مقاومة بسيطة"[2]، وقد وجدوا بها مختلف السلع النفيسة، والبضائع المختلفة[3]، التي كانت في المركز التجاري الجنوي بهذه المدينة، التي أصبحت قاعدة يتخذها عروج وأخوه خيرالدين لعملياتهما الحربية ضد الأسبان[4] خاصة بعدما استقر بها عروج.

لم يذكر مخطوط " خبر قدوم عروج.." كيف دخل الأتراك إلى جيجل، فكل ما ذكره هو أن خيرالدين وعروج لما فشلا في فتح مدينة بجاية، " سافروا إلى ناحية جيجل بمن معهم من الأسرى وعدتهم ستمائة"[5]. وأقام عروج في هذه المدينة، وأما خير الدين فقد سافر إلى تونس، وفي مدة غياب هذا الأخير، اتصل أهل الجزائر به ودعوه لنجدتهم. ولما رجع خير الدين إلى جيجل، بلغوه أهلها وصية أخيه المتضمنة إرسال المدد إليه في مدينة الجزائر، فجهز له مائتين وثمانين من الغزاة بجميع ما يحتاجون إليه، ورجع خير الدين إلى تونس[6].

ولقد اختلف المؤرخون حول تاريخ هذه الأحداث، فمنهم من يرى أن استرجاع مدينة جيجل كانت قبل محاولة الإخوة عروج وخير الدين الثانية في دخول مدينة بجاية، وحجتهم أنّ الأتراك وسكان المنطقة لما دخلوا جيجل، درسوا الخطط التي يمكن اعتمادها في فتح بجاية، ثم اتفقوا بعد ذلك على الهجوم، انطلاقا من مدينة جيجل، كما يدعمون رأيهم بأنّ الأتراك قد نفذ عنهم البارود في المحاولة الثانية، فكيف لهم أن يدخلوا مدينة أخرى والبارود قد خلص عنهم؟ ويرى أخرون أن فتح مدينة جيجل كان بعد المحاولة الثانية لاسترجاع بجاية، لأنّ المقاومة كانت بسيطة[7].

---

[1] - أندري بريغان ، أندري نونشي و إيف لاكوست - الجزائر بين الماضي والحاضر ترجمة اسطنبولي مصطفى ومنصف عاشور- ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1984 - ص : 126.

[2] - سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص: 48.

[3]- محمد بن عمرو الطمار- تلمسان عبر العصور – ص: 228.

[4] - ناصرالدين سعيدوني - ورقات...– ص :201.

[5] - خبر قدوم عروج... – ص و: 10.

[6] - ينظر – المصدر نفسه – ظ و:10.

[7] - للمزيد من المعلومات ينظر – صالح عباد – الجزائر خلال الحكم التركي.. – ص:45.

أمّا مخطوط "خبر قدوم عروج ..." فإنّه لم يذكر ذلك مباشرة، بل أشار إلى أنّ مدينة جيجل كانت مفتوحة قبل المحاولة الثانية، حينما ذكر أن الأتراك قبل وصولهم إليها، قادمين من بجاية بعد المحاولة الثانية، كانوا قد بعثوا " ثلاثة أجفان ليجداها، إن طرأ عليها حادث من حوادث الدهر، كما وقع لها، فلما وصلاها، أقام عروج ريس بها..."[1]، ويفهم من هذا الكلام أن الأتراك قد فتحوها من قبل، ولما أرادوا الرجوع إليها من بجاية، خافوا إن طرأ عليها طارئ، فربما رجع إليها الجنويون أو الأسبان. ويفهم كذلك من الكلام السابق أن عروج لما وصل إلى بجاية أقام بها رئيسا، ولم يشر إلى وقوع معارك، أو أية مناوشة بين جيش الأتراك وغيرهم.

3 - تنس:

ولما استقر عروج وخير الدين بمدينة الجزائر سنة 922هـ- 1516م، بدأ ينظمان شؤونهما الإدارية والعسكرية، وكانت مدينة تنس في هذه الأثناء، خاضعة لسلطان تلمسان أبو محمد عبد الله، الذي كان له ابن أخ، قد فرّ إلى اسبانيا ليطلب منهم مساعدته على أخذ هذه المدينة، فكان له ذلك حيث قصدها، واستولى عليها، برعاية الأسبان، ولما مكنوه منها، رجع الأسبان إلى بلادهم، وتركوا معه أربعة سفن وخمسمائة من المقاتلين. فلما سمع بذلك خير الدين، قدم إليها بحرا، وعندما وصل إلى مينائها، فرّ الأسبان من سفنهم وتحصنوا بالمدينة، فشرع خيرالدين في حصارها، والتضييق عليها، حتى قدم عليه بعض أهل المدينة، على لسان حاكمها راغبا في صلحه، ووعده أن يلقاه في الغد، فكفّ عنهم القتال، ولما كان الليل هرب القائم من المدينة، وفي الصباح خرج الأهل إلى المدينة وأعلموه بهروبه، فدخل خير الدين المدينة، واحتوى على جميع ما فيها، وكان عدد النصارى بها أربعمائة[2]. ثم رجع خير الدين إلى الجزائر.

ومن الملاحظات التي يمكن أن تسجيلها حول هذه الحادثة التاريخية، هي أنّ مخطوط " خبر قدوم عروج.." قد ذكر أن خير الدين دخل مدينة تنس بعد يوم وليلة

[1] - خبر قدوم عروج – ص و: 11.
[2] - ينظر – خبر قدوم عروج ... – ظ و: 12.
ينظر– محمد بن رقية – الزهرة النائرة... - ص :40.

من الحصار، ولكنه لم يذكر من تركه وراءه، لما قفل راجعا إلى مدينة الجزائر. كما أنه لم يذكر تاريخ هذه الحادثة التي كانت في جوان من سنة 923-1517م[1].

أما المصادر الأخرى فقد أهملت هذه الواقعة، إذ تورد حملة عروج على تنس التي أتاه فيها طلب أهل تلمسان طالبين النجدة، ومن هؤلاء هايدو الذي لم يؤكد هذه الرواية، واكتفى بخبر دخول عروج إلى مدينة تنس بسهولة[2]، ولم يشر إلى دخول خيرالدين إلى هذه المدينة، وهناك رواية أخرى – ذكرها أحمد توفيق المدني- تشير إلى أن عروج قد شارك أخاه في هذه الحملة، حيث جاء خيرالدين إلى تنس عن طريق البحر، في حين جاء عروج برا، وأن القائم على هذه المدينة قد قتل[3]، عكس ما جاء في المخطوط الذي لم يذكر مشاركة عروج في هذه الحملة، كما أنه لم يذكر أن صاحب تنس قد قتل.

4 - قلعة بني راشد:

لقد كانت هذه القلعة ذات أرض خصبة، تصدر منتوجاتها الفلاحية، من زرع وحليب وغيرها نحو المناطق المجاورة، وكانت هذه القلعة المموّل الرئيس بهذه المنتوجات للأسبان الذين بوهران، ولما تمكّن عروج من دخول تلمسان، منع أهل هذه القلعة من إمداد الأسبان بما كانت تنتجه هذه البلدة، فضاقت أحوالهم بسبب ذلك، واشتدّ عليهم الأمر. وهنا استغل مسعود - سلطان تلمسان الذي كان بمدينة فاس- هذا الوضع، حيث طلب من الأسبان مساعدته، لمحاربة عروج، فاستجابوا له وأعطوه ما طلب، من العدة والعدد، فكّون جيشا من الإسبانيين وبعض أتباعه.

ولما سمع خير الدين بذلك، وجه جيشا إلى قلعة بني راشد، و أمّر عليهم أخاه إسحاق، ولما وصلوا إلى القلعة، وجدوا فيها جيشا من الأسبانيين يحاولون أخذها،

[1] - عثمان الكعاك – موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى العصر الفرنسي – تقديم ومراجعة: أبو القاسم سعدالله، محمد البشير السبتي، ناصرالدين سعيدوني، ابراهيم بحار – دار الغرب الإسلامي – بيروت– ط: 01 – 2003– ص:275.

[2] - ينظر - هايدو – تاريخ ملوك مدينة الجزائر – المجلة الإفريقية – 1880 - ص: 35.

[3] - ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا – ص: 185.

فوقع بينهم قتال عظيم، حيث قتل منهم جيش خير الدين سبعمائة، وأسروا ثلاثمائة شخص، ثم دخل جيش خير الدين القلعة[1].

ولم تدم فرحة جيش خير الدين طويلا، عقب دخولهم القلعة، فقد ورد عليهم مسعود بجيشه، وحاصرهم من كل جهة، فخرج إليه المسلمون، ووقع بينهم قتال شديد، استولى جيش خيرالدين على مائة وستين من أنصار مسعود، وأسروهم، ثم دخلوا بهم القلعة[2].

وبعد أيّام، عزم جيش خيرالدين مرة أخرى على الخروج إلى القتال، وكان الأسبانيون قد نصّبوا نحوهم المدافع، فلما بدأ المسلمون في الخروج، رموا عليهم بالمدافع، فاستشهد جماعة كبيرة منهم، ورجع بقية الجيش إلى القلعة، فبقوا فيها محاصَرين نحو ستة أشهر، ثم حفر الأسبان تحت الأرض نفقا، وملؤوه بارودا، فأخذت النار فيه، فانفرجت قطعة من القلعة، فأراد المحاصِرون الهجوم من تلك الفرجة فمنعهم جيش خير الدين من ذلك، ثم ركن هؤلاء إلى الموادعة، فكانت بينهم شروطا منها: أن يردّ المحاصرون إليهم جملة الأسرى الذين استولوا عليهم، وأن يكون بيد المحاصرين ستة عشر رجلا من أعيان أهل القلعة رهنا، وأن يخرج المحاصَرون بكل ما احتووا عليه من المتاع، ووقع الاتفاق على ذلك، ولما شرعوا في الخروج، نقض المحاصِرون العهد، وجعلوا يأخذون ما يخرج به أهل القلعة المحاصَرون من المتاع، واستذلوهم بأمور كثيرة مما أثار حفيظة المسلمين، فنادوا باشتعال الحرب، فوقع بينهم قتال عظيم، استشهد الجميع، واستولى سلطان تلمسان على القلعة[3].ثم اتجه نحو تلمسان، حيث حاصر عروج وقتله في هذه السنة.

لم يذكر مخطوط " خبر قدوم عروج ..." تاريخ هذه الواقعة التي كانت في جمادى الثانية سنة 924هـ[4] الموافق لأواخر شهر جانفي من سنة 1518م[1]. ولم

[1] - خبر قدوم عروج... – ص و: 13.
[2] - المصدر نفسه - ظ و: 13.
[3] - خبر قدوم عروج –ظ و:13.
[4] - ابن الصباغ – زمزم الأخيار – ظ و: 10.
ينظر- محمد بوركبة - جوانب من مخطوط : " قلعة بني راشد " للشيخ ابي عمر بن عثمان القلعي – ص: 106.

يذكر أيضا اسم سلطان تلمسان الذي كان تحت حماية الإسبانيين، ولكنه أشار إليه بعبارة (الذي كان بمدينة فاس)، كما تختلف معه إحدى الروايات التاريخية[2] بما جاء به في هذه الحادثة، حيث ترى هذه الرواية أنّ عروج لما دخل تلمسان ترك حامية تتكون من ستمائة رجلا بالقلعة، وجعل عليهم أخاه إسحاق أميرا، بينما ما جاء في المخطوط هو أنّ خير الدين هو الذي بعث من مدينة الجزائر إسحاق على رأس جيش إلى القلعة. وهناك اختلاف آخر بين الروايتين حول نهاية حياة إسحاق، فالرواية الثانية تذكر أنّ إسحاق انهزم أمام جيش أبي حمو، بعد دفاعه المستميت عن القلعة، بعدما اتفق مع هذا الأخير، لكي يفسح له الطريق للسير نحو تلمسان، ولكن هذا الأخير نصب له كمينا، وغدره قتلا.

5 - الجزائر:(حملة هيغو دي منكاد)

بعدما استشهد عروج واسحاق بالغرب الجزائري، توجه الأسبان إلى الجزائر لغزوها، وطرد الأتراك منها، في 17 أوت من سنة 1518م[3]- 924هـ. ولما وصلوا إليها، أرسلوا إلى خير الدين كتابا يهددونه فيه، ويطلبون منه تسليمهم مدينة الجزائر، وإلا سيلقى نفس مصير أخويه عروج وإسحاق، وكان رد خير الدين عنيفا ومما قاله: " أن الحرب هي الفاصلة بيننا"[4].

ثم نزل الأسبان إلى الساحل، وانقسموا إلى فرقتين، قصدت كل فرقة منهما ناحية من المدينة، وصفّت سفنهم اتّجاه المدينة، وأمّا خير الدين فقد عيّن ثلاثمائة من الجند لحراسة المدينة، ومثلهم من أهلها، وخمسة آلاف من الجند كمائن، واستعدّ للحرب.

أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي – الثغر الجماني... – ص: 44.

[1] - ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة ... – ص: 189.

[2] - ينظر – أحمد توفيق المدني – المرجع نفسه – ص: 188.

[3] - ينظر – صالح عباد – الجزائر خلال الحكم التركي... – ص: 49

[4] - خبر قدوم عروج ... – ص و: 14.

لقد انشغل الأسبان يومين عن القتال، بسبب إنزال آلاتهم الحربية إلى الساحل، وفي هذه الأثناء شرع خير الدين في قتالهم، فأهزم أعداءه، ولم يبق منهم إلا ستة آلاف من أصل عشرين ألف مقاتل، ثم التجئوا إلى سفنهم، فلحقهم المسلمون، وجعل الأسبان يرمون عليهم بالمدافع، فاضطرّ المسلون إلى التراجع عنهم، ولكن البحر هاج في الليل، ولم تستطع جماعة من الإسبانيين أن يصعدوا إلى أجفانهم، وقاتلهم المسلمون، ودام القتال بينهم يومين كاملين، ولما هدأ البحر، ركبت الفئة الناجية من هذه المعركة سفنهم قاصدين بلادهم، ولكن البحر هاج من جديد، وألقى سفنهم إلى البرّ، حيث عطبت عامتها، فاستولى المسلمون عليهم قتلا وأسرا، فكان جملة الأسرى ثلاثة آلاف وستة وثلاثون وكان من بينهم رؤساء عظام[1].

لقد جاءت هذه الحملة من إسبانيا، بقيادة[2] هيغودو مونكادة[3]، بعد أن فقد خير الدين أخويه ومعظم جيشه، وقد اختلف المؤرخون حول تاريخها، فيرى بعضهم أنّها حدثت في 17 أوت 1518م[4] -924هـ، ويرى البعض الأخر أنها كانت في شعبان 925هـ- أوت 1519م[5]، ويذكر فريق آخر تاريخها سنة 926هـ - 1520م[6]، أما مخطوط " خبر قدوم عروج..." فيذكر أنّ هذه الحملة وقعت بعد موت عروج سنة924هـ- 1518م، وقبل أن يبعث سكان الجزائر رسالة إلى اسطنبول للدخول تحت لواء

---

[1] - المصدر نفسه – ص و :14 .

[2]- ينظر – محمد بن رقية – الزهرة النائرة... - ص :78.
ينظر- ناصر الدين سعيدوني - ورقات وأبحاث... – ص :202.
ينظر- محمد بن عبد القادر الجزائري – تحفة الزائر... – ص :94

[3] -هيغو دو منكادا : نائب ملك صقلية .

[4] -ينظر: Gramont . H. D .Histoir d'Alger sous la domination Turque(1515 – 1830) ..Eunest Leroux. Paris. 1887. p : 39.
Berberugger.A .Alger histoire .pittoresque et monumentale .T1.Paris. 1843. p :72
ينظر – كورين شوفلييه – الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر - ص : 40.

[5] - ينظر- هامش – الحسن الوزان – وصف افريقيا – ص: 40.
ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائةسنة بين الجزائر واسبانيا – ص: 206.

[6] - منهم : محمد بن رقية – المصدر السابق - ص : 78.
- ناصرالدين سعيدوني - ورقات وأبحاث – ص:202.

الخلافة العثمانية، وكان بعث هذه الرسالة في بداية نوفمبر من سنة 1519م[1]- 925هـ، ولكنهم يتفقون على أن هذه الحملة كانت تشمل أربعين سفينة كبيرة.

واختلفوا أيضا حول أسباب هزيمة الاسبان، فالأوربيون يرون أن العاصفة لما هبّت، رمت بستة وعشرين سفينة على الصخور، وقضت على معظم تموينهم[2]، ويرى أخرون منهم أنه لما انقسم الجيش الأسباني إلى فوجين، اختلف هيقو دو منكاد وغونزاقلوا دو ريبيريا - قائدا هذين الفوجين - حول بدء القتال،" فالأول يريد الهجوم مباشرة، أما الثاني فقد فضّل الانتظار إلى حين وصول جيش تلمسان لتدعيمهم، وهذا الأخير قد عدل عن مساعدتهم، مما أضاع الأسبانيون وقتا ثمينا استغله خيرالدين"[3] خير استغلال.

بينما ترى الرواية العربية أن العاصفة قد هبت بعد انسحاب الأسبان إلى الساحل، وسبب الهزيمة هو خبرة جيش خيرالدين في المعارك، إذ بعد يومين من القتال بدأ العياء والإنهاك يظهر على القوات الإسبانية، فبدأت بالتراجع والانسحاب، فاستغل خير الدين هذه الفرصة، فلاحق المنسحبين، وانقضّ عليهم، فانهارت معنوياتهم، وغد الإسبانيون وسط دهشة كبيرة، فهم محاصرين من البرّ، ولم يبق أمامهم سوى البحر، ولما أرادوا ركوب البحر هبت العاصفة المذكورة[4].

وكان انتصار المسلمين في هذه الحملة، دليلا على تأكيد الوجود العثماني بالجزائر، وزيادة نفوذ خيرالدين على هذه المدينة.

6 - الأسرى:

لقد كثر عدد الأسرى بالجزائر، حيث بلغ عددهم سنة927هـ- 1520م ثلاثة ألاف أسيرا، منهم ستة وثلاثين من عظامهم، واحد برتبة جنرال، وكان هذا الأخير جريحا، فأمر خير الدين بمراعاته في المأكل والمشرب، فخاف عسكر خير الدين من

[1] - ينظر – عبدالجليل التميمي – أول رسالة من سكان الجزائر ... – المجلة التاريخية المغربية – ع: 06 – ص: 120.

[2] - ينظر – جون وولف – الجزائر وأوربا – ص: 33.
ينظر – وليم سبنسر – الجزائر في عهد رياس البحر– ص:35.

[3] - كورين شوفالييه – الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر – ص: 41.

[4] - ينظر – سامح التر– الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص: 77.
ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة... – ص: 209

تمرد هؤلاء لكثرتهم، أو يتصلوا بالأسبان الذين بالحصن المقابل للمدينة. فأمر بحفر ثلاثة أنفاق تحت الأرض، لإيداعهم فيها، ثم أمر أن يذهبوا بخمسمائة منهم إلى الساحل، ليأتوا بعدة الأجفان المعطبة هناك، وهنا استغل هؤلاء هذه الفرصة، فقتلوا بعض الموكلين بهم، وأرادوا الفرار إلى الحصن المقابل، فالتحق بهم العسكر، وقتل منهم أربعمائة وأربعة، وأرجعوا الباقين إلى الحبس المعد لهم.

وكان من بين هؤلاء الأسرى فتى صغير قد جرح، فأمر خيرالدين بعلاجه حتى برئ، أما الجنرال فقد أراد أن يتمرد مع بقية المأسورين، فانكشف أمره لخيرالدين حيث استدعى الفتى المذكور، ودعاه، وسأله عما دار بينه وبين الجنرال، وكأنّه على علم بذلك، فأخبره الفتى، وكشف على خطة الأسرى الذين كانوا يريدون التمرّد، ثمّ أمر خيرالدين بالجنرال، فجئ به، وسأله عما صدر عن الفتى، فاعترف بذلك، ثم إنّ إسبانيا أرادت أن ترسل فدية لإطلاق سراح هؤلاء، وبذلوا له مائة وعشرين ألف دينار ذهبا، فرضي بذلك خيرالدين، ولكن فقهاء الجزائر أفتوه بعدم جواز الفديّة، بحجة أن هؤلاء إذا رجعوا إلى بلادهم، أعادوا الكرّة علينا، فامتثل خيرالدين لأمرهم، وأمر بقتلهم، ورمي جثثهم في البحر[1].

وكثرة الأسرى تدل على نشاط جيش خيرالدين الكبير وقوته، كما تدل معاملته الطيبة لهم، من حيث توفير المأكل والمشرب والملبس والعلاج للمرضى، على حلمه وأخلاقه الإنسانية، رغم قتلهم، ورمي جثثهم في البحر، بعدما أملت الظروف على خير الدين ذلك، منها: كثرة عدد الأسرى وتخوف خير الدين من تمردهم، أو من عودتهم لحرب المسلمين ثانية بعد فديتهم وإطلاق سراحهم.

وما يلاحظ فيما جاء به المخطوط في هذه الحادثة، أنّه لم يذكر اسم الجنرال فرديناند، كما أنّه لم يذكر قيمة فدية هذا الأخير، التي كان الإسبان قد دفعوها للمسلمين، فقد عرضوا عليهم في البداية مائة ألف ليرة، ولما قتل، عرضوا عليهم مبلغ سبعة ألاف ليرة مقابل تسليم جثّته، ولم يذكر أيضا عدد الأسرى الذين نفّذ في حقّهم

[1] - خبر قدوم عروج – ص و ظ و: 15 – 16.

الإعدام، فقد ذكرت بعض المراجع[1] أنه قتل ثلاثمائة شخص فقط، واختلفت مع المخطوط حول مصير جثة فرديناند، التي قالت برميها في بئر مهجور، بينما يذكر المخطوط أنها رميت في البحر.

7 - مستغانم:

لقد تمّ فتح مدينة مستغانم بسهولة كبيرة سنة 924هـ- 1518م[2]، وكانت هذه المدينة تحت حكم سلطان تلمسان مسعود، الذي كان مدعما في ملكه من طرف الأسبان. في حين كان بوهران أحد أفراد الأسرة الزيانية، اسمه مولاي عبد الله، أراد أن ينزع الملك عن مسعود، فاستغل علاقة هذا الأخير بالمحتّل، فأرسل إلى خير الدين ليساعده على أخذ تلمسان، ويكفّ عن مساعدة الإسبانيين، واتفق معه أن يلتقيا بمستغانم[3].

وتلبية لدعوة مولاي عبد الله، أرسل خيرالدين جيشا عظيما عن طريق البر، وثمانية وعشرين سفينة، بجميع ما تحتاج إليه من العدة والعدد، عازما على حصارها برا وبحرا، واستطاع هذا الجيش أن يدخل المدينة دون أية صعوبة تذكر، ثمّ التحق به مولاي عبد الله، آتيا من وهران، فسمع بذلك خير الدين، فسرّ به سرورا عظيما[4]. ثم سارت قوات خيرالدين البرية نحو تلمسان، في حين أبحرت القوات البحرية نحو اسبانيا لنجدة مسلميها.

لقد كان تحرير مدينة مستغانم من الوجود الإسباني، فرصة لإيجاد مرسى آمن غير بعيد عن وهران، ليسّهل التنقل نحو الغرب الجزائري.

وقد ذكر المخطوط هذه الأحداث، ولكن من غير أن يفصل فيها، إذ لم يبيّن كيف تمّ الدخول إلى المدينة، ولا أخبر عن مصير النصارى الذين كانوا بالمدينة، وحتى الجيش الذي بعثه لغزو بلاد النصارى، لم يذكر قائده .

---

[1] - ينظر – سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص: 79.
[2] - ينظر – جون ولف – الجزائر وأوربا – ص:39.
ينظر – صالح عباد – الجزائر خلال الحكم التركي – ص: 56.
[3] - خبر قدوم عروج...- ط و: 20.
[4] - ينظر – المصدر نفسه – ص و: 20.

ب- بعد سنة 931هـ 1524م: عرفت الجزائر في هذه الفترة تحولا مهما في تاريخها، حيث بدأ خير الدين في تحصين البلاد من غارات العدو، وطرده نهائيا من مدينة الجزائر.

1 - فتح حصن البنيون:

ما إن فرغ خيرالدين من مشاغله الداخلية، حتى فكر في أمر الحصن المقابل للجزائر، الذي كان يشكل خطرا كبيرا، ومباشرا على هذه المدينة، "إذ كان الجزائريون يعتبرون وجود الإسبان فيه إهانة كبيرة لهم، إضافة إلى ذلك، فإن السفن الجزائرية كانت تواجه مصاعب عدة في الذهاب والإياب"[1]. ومن أجل تأمين الجزائر من أي خطر قد يصدر منهم، بدأ خيرالدين في الاستعداد لفتح هذا الحصن، حيث أمر بصنع البارود، واشترى كل ما يحتاج إليه من المدافع.

ولما تمّ له ذلك، نصّب بطارتي المدفعية مقابل الحصن، ثم باشر بقصفه،" لمدة أسبوع كامل، وفي يوم الجمعة من بعد الصلاة أمر خير الدين أن يفتح الحصن، فركب عسكره قواربهم، وهجموا عليه، فوجدوا فيه خمسمائة مقاتل من النصارى ومن المدافع وسائر السلاح"[2]. ثم أن خير الدين أمر بهدم الحصن، لدفع طمع الإسبان في أخذه مرة أخرى، مستغلا وجود الأسرى، حيث كلفهم بناء ما أنهدم من الجزائر، وبنى بأحجارهذا الحصن القنطرة المتصلة بالمدينة[3].

ومن الملاحظات التي يمكن تسجيلها عند قراءة هذه الحادثة، مسألة اختلاف المؤرخين حول تاريخ هذا الفتح، فبعضهم يرى أنه كان في يوم الجمعة 27 ماي 1529م- 936هـ[4]. ومنهم من يرى أن الفتح كان في سنة 939هـ[5]-1532م. وهناك من يذكر 16 ماي سنة 1530م[6] الموافق لسنة 937هـ تاريخا لهذا الفتح، أمّا مخطوط " خبر قدوم عروج.." فلم يذكر تاريخ هذه الواقعة.

---

[1] - سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص: 86.
[2] - خبر قدوم عروج...- ظ و: 28.
[3] - ينظر – المصدر نفسه – ص و : 29.
[4] - ينظر – ناصر الدين سعيدوني – ورقات...- ص :202.
[5] - محمد بن رقية- الزهرة النائرة... – ص : 72.
[6] -ينظر – هايدو – تاريخ ملوك مدينة الجزائر – تقديم: عبدالرحمان رباحي – ص:51.

واختلفوا أيضا حول مدة القتال، فذكروا أنها استمرت مدة أسبوعين[1] بدلا من أسبوع واحد كما ذكر المخطوط. واختلفوا معه أيضا في عدد القتلى والأسرى حيث ذكر بعضهم أن "عدد القتلى هو مائتي رجل"[2]، وفي رسالة لجاسوس يهودي من مدينة الجزائر يعمل لحساب الإسبان، أن عدد القتلى هو ستون رجلا وعدد الأسرى هو تسعون جنديا وخمسة وعشرون امرأة وطفلا، إضافة إلى قائد الحامية مارتان فاركاس [3]. في حين ورد سابقا أن عدد الأسرى هو خمسمائة.

ويعتبر هذا الفتح من أعظم ما قام به خيرالدين، وقد بنى خيرالدين كاسرة الأمواج، يوصل بها أطلال القلعة والجزيرة بالساحل، وبذلك أوجد ميناء حصينا بالجزائر[4]، وقضى على الوجود الإسباني نهائيا بهذه المدينة، وبذلك استطاع أن يضمن لسفنه ولأهل المدينة الأمن والسلامة.

2 - الأسرى:

وبعد أن فتح خيرالدين الحصن المذكور سابقا، أصبح عدد الأسرى بالجزائر سبعة آلاف أسير، ولما آيس هؤلاء من الفداء، والتخلص من أيدي خيرالدين، اتّفق رأيهم على الثورة في الجزائر، بعد قتل الحارس، ولكن خير الدين تفطّن إلى ما نووا فعله، لرؤيا رآها في المنام[5]، فأمر الخادم أن يكثر شكواه منه أمامهم، حتى يطلع على ما في ضمائرهم، ويفشي أسرارهم، فكان لخيرالدين ما أراد، ونفّذ الخادم هذه الحيلة، واستطاع أن يحصل على ثقتهم، وأطلعوه على الكتاب الذي كانوا يودّون إرساله إلى والى بجاية، يطلبونه فيه إرسال بعض السفن إلى الجزائر، لنقلهم منها، بعد الثورة التي سيقومون بها. فأوصل الخادم الكتاب إلى خيرالدين، وأمره أن يأخذه بنفسه إلى

أحمد توفيق المدني – محمد عثمان باشا – ص:26.

[1] - ينظر – هايدو- تاريخ ملوك مدينة الجزائر – المجلة الإريقية - 1880- ص: 125.

[2] - ينظر – هايدو – المصدر نفسه – ص :125.

[3] - ينظر - Primaudie.Documents inedits sur L'histoire de L'occupation Espagnole .en Afrique (1506-1574).Revue Africaine N.19(1875).pp.163-166.

[4] - ينظر - أرجمنت- السياسة العثمانية- ص :22.
ينظر – محمد بن عبدالقادر الجزائري – تحفة الزائر... - ص : 97.

[5] - لقد رأى خير الدين في المنام أنّ دار الموكل أي الخادم في مدينة مدلي أرادت أن تسقط منها اسطوانة، فأقامها خير الدين بيده، فتأوّل هذه الرؤيا أنّ حادثا يحدث بهذا المتوكل...خبر قدوم عروج ...- ص و: 36.

والي بجاية، فكان لخيرالدين ما أمر، ثم رجع بكتاب الوالي، ولما قرب مجيء السفينة من بجاية، بعث خيرالدين أحد أجفانه يترصده، وكان والي بجاية قد جهز جفنا، وجعل فيه مائة وعشرين رجلا، ولما وصل، استولى عليه جفن خيرالدين، وأراهم خيرالدين الكتاب الذي جاءهم من بجاية، ثمّ أمر بقتلهم، وحبس نصارى بجاية[1].

لم يذكر المخطوط اسم الخادم الذي بعثه خيرالدين إلى بجاية، كما أنّه لم يذكر عدد الأسرى الذين صدر في حقّهم القتل، الذين بلغ عددهم العشرين[2]، وأرسل الأخرين إلى السجن المخصص لهم.

3 - شرشال :

يعتبر تحرير قلعة البنيون انتصارا كبيرا، حققه خير الدين على الإسبان، الشيء الذي دفع ملكهم شارل كان بتجهيز حملة بقيادة اندارية دوريه[3]، ضدّ السواحل الجزائرية، كرد فعل على ما انجزه خير الدين. ولما وصل اندارية دوريه إلى شرشال، رآه أهل هذه المدينة، فتحصنوا فيها، ونزل النصارى إلى البرّ، ثم أمر قائدهم ببلوغ الأسرى، لتحريرهم، فحرروهم، ثم انتشروا في شوارع المدينة، ينهبون المنازل، وفي هذه الأثناء، خرج سكان المدينة[4]، وانهالوا على جنود النصارى المشتتين عبر الطرق، والمثقلين بالغنائم، "يقتلونهم حتى ألجؤوهم إلى الهروب إلى أجفانهم، فلم يحصلوها (أي يصلوها) إلا بعد مشقة عظيمة، وكان عدد القتلى من النصارى ألفا وأربعمائة وعدد الأسرى ستمائة، ووصل الخبر إلى خير الدين ليلا،

---

[1] - ينظر – خبر قدوم عروج – ص و ظ و: 15 – 16.
ينظر – محمد بن رقية – الزهرة النائرة... - ص : 78.
ينظر- أبو راس - عجائب الأسفار – ص :141.

[2] - ينظر – كورين شوفالييه – الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر – ص:70.

[3] - **انداريه دوريا**: (870هـ - 968هـ) (1466م – 1560م) أمير بحري جنوي مرتزق، كان يملك أسطولا بحريا، يخدم به الحكام الذين يقدمون له المال والنفوذ، كان في أول الأمر في خدمة ملك فرنسا فرنسوا الأول، ثم انضم إلى شارل الخامس،ليصبح حتى آخر حياته أميرا بحريا أسبانيا، يقال أنه كان يفر من أي اشتباك قد يؤدي إلى تحطيم سفنه الخاصة. ينظر- جون .ب. وولف – الجزائر وأوربا – ص :41.
ينظر – اندري كلو – غازي الغزاة سليمان القانوني - ص :128.

[4] - ينظر – صالح عباد – الجزائر خلال الحكم التركي - ص: 53

فأقلع حينذاك، فلما أرسى بشرشال، جاءه أهلها، وتلقوه بالبشرى، وسلموا إليه الأسرى "[1].

لقد ذكرت بعض المصادر[2] هذه الحادثة، التي كانت في شهر جويلية من سنة 1531م الموافق لسنة 938هـ.حيث تعيب على اندريه دوريا سوء اختياره لمدينة شرشال التي تعج بالمسلمين الأندلسيين الذين استقروا في هذا البلد، وكان هؤلاء مدربين على أنواع الأسلحة[3]، ويعرفون كيف يحاربون.

4 - عنابة[4] :

ولما انهزم خير الدين بتونس أمام ملك اسبانيا شارل كان ، لجأ خير الدين ومن معه من عسكره إلى مدينة عنابة، حيث دخلها بعد خمسة أيام، فلحقته ثلاثين سفينة من سفن شارل كان، للاستيلاء على مدينة عنابة، ولما وصلت هذه السفن قرب هذه المدينة، نصب خير الدين مدافعه للرمي عليهم، فمنعهم بذلك من الوصول إليه، فرجعوا إلى حال سبيلهم، ثمّ أراد شارل كان أن يوجه جيشه كله إلى هذه المدينة، ثمّ أنه توقف عن ذلك هيبة من خير الدين، وعندما أمن هذا الأخير على نفسه ركب البحر راجعا إلى الجزائر[5].

وكانت هذه الواقعة سنة 941هـ[6] الموافق لسنة 1534م، ولم يذكر مخطوط " " خبر قدوم عروج.." أن خير الدين تلقى مشاكلا في طريقه إلى عنابة. مثلما هو

---

[1] - خبر قدوم عروج ...– ظ و:30.

[2] - هايدو- المصدر السابق – المجلة الإفريقية – 1880 - ص : 127.

[3] - ينظر – جون وولف – الجزائر وأوربا - ص: 41.

[4] - **عنابة** : مدينة عتيقة، بناها الرومان على ساحل البحرالمتوسط، وهي مشهورة باسم بلد العناب، لكثرته ذلك في ذلك المكان، يجفف هذا العناب ويؤكل في فصل الشتاء، رجالها تجار وصناع وحاكة، أراضيها زراعية تأتي القمح بكثرة، وتربى بها الأبقار إلى درجة أنها كانت تصدر هتين المادتين إلى تونس وجنوة عبر مينائها، بشواطيئها كثرة المرجان. ينظر – الحسن الوزان – وصف افريقيا – ص :61.

[5] - خبر قدوم عروج – ص و:43.

هناك مخطوط عنوانه: فتح خيرالدين تونس من تاريخ عروج، وهو ستة صفحات، ضمن مجموع ، موجود بالمكتبة الوطنية – الحامة – تحت رقم: 1618 يروي هذه الواقعة نقلا عن المخطوط .

[6] -أبو دينار محمد بن أبي القاسم- المؤنس في أخبار تونس – ص : 186

مذكور في المصادر الأخرى، حيث أن سكان ضواحي تونس تعرضوا له[1]، ووقعت بينهم حروب شديدة، فقد خلالها خير الدين ما يقرب من خمسمائة رجل من رجاله[2].

كما أنّه (المخطوط) لم يشر إلى أنّ الحكم العثماني لم يستقر بعنابة بعد هذه الواقعة، " لأن الأسبان بعد انتصارهم في تونس، احتلوا عنابة سنة 942هـ- 1535م. ولم يغادروها إلا بحلول سنة 947هـ- 1540م، وبعد ذلك استتب الأمر للأتراك بعنابة طيلة حكمهم"[3]. وهناك رواية تقول أن: خير الدين قد توجه من عنابة مباشرة إلى جزر الباليار، قبل دخوله مدينة الجزائر[4]، عكس ما أورده المخطوط، حيث أنّ خير الدين رجع إلى مدينة الجزائر وبعد استراحة هاجم الجزر المذكورة.

5- حملة شارل كان[5] :

لقد جاءت هذه الحملة بعد انتصار الأسبان بتونس، وبعد فشل شارل كان في محاولة استمالة خيرالدين وحسن أغا[6] إلى جانبه بعد مفاوضات بينهما[7]، ثم ما قام به به خيرالدين في جزر الباليار، كرد فعل على هزيمته في تونس، وما حققه من انتصار الشيء الذي "أجبر الملك الإسباني على الإعتراف بأن الجزائر يجب أن تكون هي الهدف الثاني"[8] بعد تونس.

وقد جاء ملك اسبانيا بنفسه إلى الجزائر، قائدا عاما لهذه الحملة، التي كان عدد ما فيها أربعمائة، وقيل أربعمائة وخمسين جفنا، وكان عدد المقاتلين خمسين ألفا

---

[1] - محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج -الحلل السندسية في الأخبار التونسية – تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الهيله – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط :01 – 1985– م: 02 - ص :205 .

[2] - صالح عباد – االجزائر خلال الحكم التركي – ص : 63.

[3] - ناصرالدين سعيدوني – ورقات ...– ص: 507.

[4] - ينظر – صالح عباد – الجزائر خلال الحكم التركي – ص: 63.

[5] - هذه الواقعة ذكرها محمد بن رقية في مخطوط الزهرة النائرة، معتمدا على مخطوط خبر قدوم عروج وخيرالدين إلى الجزائر، فنقل عنه نقلا مباشرا.ينظر - محمد بن رقية – الزهرة النائرة – ص: 80.

[6] - **حسن أغا** : أصله من جزيرة سردينية، أسر في إحدى غزوات الجزائريين لهذه الجزيرة، وعند توزيع الغنائم بينهم كان حسن أغا من نصيب خير الدين ، ربّاه تربية إسلامية، علمه ودربه على العمل البحري، تولى حكم الجزائر بعد حكم خير الدين، توفي سنة 953هـ، امتاز بحزمه وسداد رأيه، كان له عظم العلم والصلاح، كريم النفس، سخيا بالمال، يراعي العلماء والصلحاء وأهل الخير مع العدل الشامل، ولذلك تفرس فيه خيرالدين، فجعله نائبا عنه. ينظر- محمد بن رقية – الزهرة النائرة- ص: 80، وينظر- سامح ألتر- الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية- ص: 154، 173.

[7] - ينظر - بلحميسي مولاي – غارة شارل كان على الجزائر (948هـ / 1541م) بين المصادر الغربية والمصادر الإسلامية – مجلة تاريخ وحضارة المغرب – العدد: 06 – 07 جويلية 1969م – ص: 39.

[8] - جون وولف – الجزائر وأوربا – ص:50.

ولما وصلوا إلى هذه المدينة، أرسوا بمينائها، في أواخر شهر جمادى الثاني سنة948هـ الموافق 23 أكيوبر سنة 1541م[1]، ثم بعث شارل كلن إلى حسن أغا كتابا يدعوه فيه إلى تسليم المدينة، وذكره بانتصاره في تونس، وكذا كثرة عدد من معه في هذه الحملة، وعدته الكبيرة، وكان جواب حسن عنيفا إذ قال له:" يا كلب النصرانية كيف حدثتك نفسك أنك ملك الملوك، وأنك في مقام السلاطين العظام الذين دانت لهم الدنيا، وهل أنت إلا كلب من كلاب النصارى، أضعف ما في بلاد البربرية من القلاع لا تقدر على أخذها فكيف بمدينة الجزائر...فإنّ في عسكر الجزائر ما يقابلك، وسترى عاقبة أمرك، فاجهد جهدك غير موفق ولا مسدد..."[2].

ولما وصل هذا الجواب إلى شارل كان اشتد غضبه، وأمر بنصب المدافع على المدينة، وهنا فكّر حسن اغا مع السكان في الهجوم على النصارى في مكان نزولهم ليلا، واختار من رجاله ستمائة مقاتل ، ومعهم ألف فارس، ولما كان الربع الأخير من الليل، خرجوا إلى النصارى من ناحية واحدة من المدينة، فلما قاربوهم كبروا بصوت واحد عال، ورموا عليهم باالبنادق دفعة واحدة، وكان النصارى بين نائم وسكران وناعس، فاعتقدوا أن المسلمين قد خالطوهم، فأخذوا سلاحهم وجعلوا يقتلون بعضهم بعضا، والمسلمون على بعد يواصلون الرمي عليهم حتى الصباح، حينها شرع النصارى في قصف المسلمين بالمدافع، مما اضطرهم إلى التراجع[3] . وقد وقد خلّف هذا الهجوم أكثر من ثلاثة ألاف قتيل نصارني.

واشتدّ غضب شارل كان، فأمر بقصف المدينة بالمدافع التي كان عددها مائتين، ودام القصف أياما، حتى هبت عاصفة قوية محملة بالسحاب، فأمطرت السماء مطرا غزيرا، وهاج البحر، واشتدّت أمواجه، ، فغرقت الكثير من سفن النصارى، وعطبت أخرى على الساحل، فدهش النصارى وتحيروا، ولم يقدروا على الرمي، لا

[1] - خبر قدوم عروج – ص و: 52.
ينظر – أبو القاسم سعدالله – الجزائر والغزو الإسباني الفاشل – مجلة الثقافة – ع: 10 – رجب 1392هـ / سبتمبر 1972م – الجزائر – ص: 26.
[2] - خبر قدوم عرروج – ظ و: 53.
[3] - ينظر – المصدر نفسه – ظ و:53.

بالمدفعية ولا بالبندقية، فاستغل المسلمون هذا الوضع، وقاتلوا النصارى قتالا عظيما، واستشهد خلاله من المسلمين مائتان، ومات من النصارى أزيد من أربعة ألاف.

وكان هؤلاء حينما نزلوا إلى البر، لم ينزلوا معهم من الزاد إلا ما يكفيهم لمدة قليلة، ولما حلّ بهم هذا الطوفان، حيل بينهم وبين الزاد، فبقوا ثلاثة أيام في البر في جوع عظيم، حتى آل بهم الأمر إلى أن ذبحوا خيلهم وأكلوها، وكانت عدة ما غرق من أجفانهم المعدة للحرب وحمل الزاد والآلات الحربية مائة وثلاثين جفنا، ودخل أربعة منهم إلى المرسى، واستطاع ألف وأربعمائة وخمسون أسير مسلم من الخلاص، بنفسهم من هذه الأجفان المنعطبة[1].

ولما تيقن شارل كان أنه لا طاقة له من مواصلة القتال، فرّ بنفسه طالبا النجاة، وحين علم أهل الجزائر بذلك خرجوا في أثره حتى وادي الحراش، الذي كان حاملا من كثرة المطر، فعبر شارل كان هذا الواد، بواسطة جسر من بقايا الأجفان المنعطبة، أما بقية جنوده فغرق عامتهم، وكان عدد القتلى في هذا اليوم إثنى عشر ألفا، وأقلع عن الجزائر في ثالث عشر من شهر رجب، تاركا وراءه كل الأثقال التي أنزلها إلى البر قبل العاصفة، من آلات حربية وغيرها، مسجلا بذلك هزيمة نكراء[2].

هذه الحملة تشبه كثيرا حملة دي منكادة المذكورة سابقا في وقائعها ونتائجها، لقد باغث حسن أغا النصارى ليلا، مسببا الإرتباك في صفوفهم، فقتل منهم الكثير، قبل أن تعصف الطبيعة بهم، عكس ما يرونه الغربيون[3] الذين يرجعون سبب انهزام شارل كان في هذه الحملة إلى العوامل الطبيعية التي لم تكن في صالحهم، وليس المقاومة الجزائرية التي استغلت هذه الظروف المناخية، وفرضت الهزيمة على ملك اسبانيا.

ومن الملاحظات التي يمكن تسجيلها كذلك: هي ذكر تاريخ هذه الحملة في مخطوط " خبر قدوم عروج.."، عكس بقية الأحداث التي لم يذكر فيها ذلك.

---

[1] - ينظر – المصدر السابق – ظ و: 54.
[2] - ينظر – المصدر نفسه – ص : 55.
[3] - ينظر- كورين شوفالييه – الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر – ص:115.
ينظر – جون وولف – الجزائر واوربا – ص: 57.

وبهذه الصورة ألحق الجزائريون الهزيمة بالأسطول الإسباني، رغم ضخامته، وكثرة عدده وعدته، ووجود " الشخصيات البارزة فيه، أمثال: فرناند كورتيس فاتح المكسيك، مصحوبا بولديه، واندريا دوريا اميرال الإمبراطور شارل كان، وألكونت دالكوديت، حاكم وهران، وكولونا قريب البابا"[1]. كما " أبرزت (هذه الحملة) بشكل واضح تنامي قوة الجزائر، التي أكدت مرة أخرى أنها قادرة على رد أي عدوان كان"[2]، دون استعانتها بالدولة العثمانية.

تلك هي جهود خيرالدين في مقاومة النصارى في الجزائر، أما المناهضين له فلم يتسامح معهم، فلاحقهم وحاربهم.

2- ملاحقة المتمردين: قصد إتمام الهدف الذي رسمه خيرالدين المتمثل في توحيد البلاد داخليا، للوقوف صفا واحدا ضدّ المحتل، حارب كل من وقف معيقا أمام هذا المشروع. وهذا خلال فترتين أيضا هما:

أ- قبل سنة928هـ- 1521م: أول واحد تفرغ له خير الدين - من غير النصارى - هو أحد الشيوخ من القبائل، كان جاسوسا على المسلمين، يعمل لصالح النصارى.

1- ملاحقة جاسوس:

لما استقر عروج بالجزائر سنة 922هـ- 1516م، كتب لخيرالدين كتابا يدعوه فيه المجيء إلى جيجل, فلما وصل خيرالدين إليها، أرسل إلى أخيه عروج وأعلمه بقدومه ومعه عشرة أجفان، فبعث إليه عروج كتابا آخر، أخبر فيه" أن في ناحية جيجل شيخا[3] مقدما على طائفة من البربر، هو عين للنصارى على المسلمين، وجاسوسا لهم, يمدهم كل سنة سبعة ألاف دينار، وألف مكيال أي صاع من البرّ، وألف شاه و سبعمائة رأس من البقر، وأربعة عشر فرسا بسلاحها"[4]. وقد بحث عنه

[1] - صالح عباد – الجزائر خلال الحكم التركي (1514 – 1830)- ص: 65.
[2] - نعيمة بوحمشوش – مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر–ص 49
[3] - لم يتوصل الباحث إلى معرفة اسم هذا الشيخ.
[4] - ينظر – خبر قدوم عروج - ص و: 10.

خيرالدين إلى أن تمكّن منه، حيث صالحه على العدد الذي كان يعطيه للإسبانيين، ويجعله لخيرالدين، فقبل منه بذلك، وأعلم أخاه عروجا بما قرره عليه، ثمّ قدم على أخيه بالجزائر.

هذه المعلومات التي ذكرها مصدرنا أكدها صاحب الزهرة النائرة[1]. وهناك رواية تاريخية أخرى تنصّ على أن خيرالدين ألقى القبض على هذا الجاسوس الذي لم يذكر اسمه ، ثم بعثه إلى عروج، بينما ما جاء في المخطوط يخالف ذلك كما أسلفنا الذكر ، فخيرالدين ألقى القبض عليه، وصالحه ثم أعلم أخاه على ذلك، ولم يرسله[2].

2 - مولاي عبد الله[3] :

لما عيّن خيرالدين واليا بالجزائر من طرف السكان، أحسّ مولاي حسن – سلطان تونس- بخطر توسع خيرالدين على حساب دولته، فاتفق مع مولاي عبدالله - صاحب تلمسان - أن يؤلّب أحمد بن القاضي ومحمد بن علي على صاحبيهما خيرالدين، فحاولا ذلك، لكنهما لم يستطعا في بداية الأمر.

أمّا مولاي عبدالله صاحب تلمسان، فقد حرّض بعض أتباعه على خيرالدين، فخرج هذا الأخير إلى ناحيته، وحارب كل من عانده بها، حتى رجع مولاي عبدالله إلى طاعته. وفي هذه الأثناء دخل مسعود[4] مناطق خيرالدين، بعدما كان منفيا بفاس، طالبا منه المساعدة على توليته على تلمسان، فكان له ذلك، وأمر خيرالدين شيوخ تلمسان أن يخلعوا عبدالله، وينصبوا أخاه مسعودا، وأرسل معه طائفة من العسكر[5].

وما يلاحظ على هذه الحادثة أنّ مخطوط " خبر قدوم عروج .." لم يفصّل كثيرا في وقائع هذه الأحداث، حيث أنّه لم يذكر أنّ مولاي عبدالله أرسل جيشه إلى الجزائر لقتال خيرالدين، حيث تلقاه هذا الأخير، ودامت الحرب بينهما أيّاما، انهزم

---

[1] - ينظر – محمد بن رقية – الزهرة النائرة ...- ص : 73.

[2] - ينظر – سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص :75

[3] - **مولاي عبد الله :** هو السلطان أبو محمد عبدالله الثاني بن السلطان أبي الثابت الثاني، المعروف باسم محمد المتوكل على الله، تولى عرش تلمسان سنة924 هـ- 1518م حتى قام عليه أخوه مسعود سنة 1519م. ينظر – عبدالرحمان الجيلالي- تاريخ الجزائر العام – ج : 02 – ص:224.

[4] - **مسعود** : المدعو أبا سرحان، كان مبعدا بفاس من طرف أخيه السلطان مولاي عبدالله، ثم عفا عنه أخوه ودخل تلمسان ليتصل بخير الدين ويعوه ليرد له ملك بلده مستغلا علاقة هذا الأخير مع أخيه، وكان له ذلك سنة 925هـ - 1519م. ينظر – عبدالرحمان الجيلالي – المرجع نفسه – ص : 224.

[5]- خبر قدوم عروج... – ظ و: 20.

خلاله الجيش التلمساني. ثمّ أنّ خيرالدين خرج إليه، حتى توغّلت جيوشه في مدينة تلمسان، أين التقى مع مولاي عبدالله مرتين، واستطاع دخول المدينة، وتنصيب أخيه مسعود على ملك تلمسان[1]. كما أهمل المخطوط تاريخ هذه الحادثة التي كانت في سنة 926هـ- 1519م[2].

3 - مسعود:

ما إن تمّ تنصيب مسعود سلطانا على تلمسان من طرف جيش خيرالدين، وعودة هذا الأخير إلى مدينة الجزائر، حتى خلع مسعود طاعته، ومدّ يده للنصارى، فلامه خيرالدين على ذلك، ودعاه إلى العدول عن رأيه، فهدده بالحرب، واستعدّ خيرالدين لذلك. وفي هذه الأثناء سمع مولاي عبدالله الفارّ إلى نصارى وهران بما وقع بين أخيه وبين خيرالدين، فاتّصل به مستغلا هذا الوضع، فأرسل شيخا صالحا إليه يترجاه، ليعيد له الملك بعد الاعتذار له، فقبل خيرالدين ذلك، وتواعدا بمستغانم بعد فتحها، ومنها توجهت القوات البرّية إلى تلمسان، مرروا بقلعة بني راشد. فلما قربوا تلمسان، ناوشهم عسكر مسعود، ودام القتال بينهم أيّاما، ثمّ انهزم وتقهقرإلى المدينة، فاستولوا على جميع ما خلفه هؤلاء، وقصد عسكر خيرالدين المدينة، ونزلوا بها، فخرج مسعود مقاتلا لهم، ودام القتال بينهم أيّاما كذلك، ولم يدخلوا المدينة، إلا بعد عشرين يوما من حصارها، وبحيلة دبّرها عسكر خيرالدين، استطاعوا أن يقتلوا جماعة مسعود، وأن يستولوا على المدينة، ولما دخلوا قصر السلطان، هرب مسعود إلى وهران، وعندما تمّ لهم ذلك، وأرادوا الرجوع إلى الجزائر، تركوا مع مولاي عبد الله مائة وخمسين من العسكر، إرهابا لعدوه، ورجع الباقون إلى الجزائر[3].

لم يذكر مخطوط " خبر قدوم عروج ..." المدة التي كانت بين تنصيب مسعود وبين تنحيته، ولكنه يتفق مع بعض المصادر[4] على ماجاء به في هذه الحادثة.

---

[1] - ينظر أبو عبدالله الأعرج – تاريخ الجزائر – ص:200.
[2] - ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة ..- ص : 248.
[3] - خبر قدوم عروج – ظ و، ص و :20، 21.
[4] - محمد بن عبدالقادر الجزائري – تحفة الزائر... – ص :95.
ينظر – أبو عبدالله الأعرج – تاريخ الجزائر – ص: 201.

4- أحمد بن القاضي:

ما زال سلطان تونس محمد الخامس أبو عبد الله يؤلّب ابن القاضي، حتى استطاع أن يوقع بنيه وبين خيرالدين، فلما سمع هذا الأخير بذلك، راسله يؤنّبه على فعله هذا، وتحرك صاحب تونس إلى الجزائر ليغزوها، فتعرض له خيرالدين في الناحية الشرقية من البلاد، أين ألتقى الجمعان، وكانت الهزيمة على جيش تونس، إذ فرّ هذا الأخير إلى جبل وتحصنوا فيه، ثم لحقهم جيش خيرالدين إلى هذا الجبل وحاصروهم فيه ، وهنا أتى ابن القاضي مع جماعته، مظهرا للصداقة، مموها عليهم بالحب القديم، وقسّم جيشه إلى قسمين: قسم صعد الجبل مع عسكر خيرالدين، وقسم آخر يقي مع العسكر الذي بالمحلة، فلما أراد عسكر خيرالدين الهجوم على جيش تونس، جاءت خديعة ابن القاضي ، حيث وثبت جماعته على العسكر الذي بالمحلة، فاستأصلوهم قتلا، أمّا الذين صعدوا إلى الجبل، فأصبحوا بين نارين، بين جيش تونس وبين جماعة ابن القاضي، فقتلوا جميعا[1].

وبعد هزيمة خير الدين في هذه الواقعة، توجه ابن القاضي إلى مدينة الجزائر في جيش عظيم، وحاصرها، وضيّق عليها حتى دخل فصل الشتاء، ولم يستطع مواصلة الحصار، فأراد أن يذهب إلى وطنه، ويترك هذا الحصار، فمنعه أهل الجزائر الذين شاركوا معه في ذلك، ولم يبق لابن القاضي إلا مصالحة خيرالدين، فصالحه على شرط أن يعيد له الأسرى الذين عند ابن القاضي، وأن يدفع له مالا مقررا .

وبعد أربعة أشهر من هذه المصالحة ، نقض ابن القاضي عهده، وأرسل جيشا بقيادة أخيه إلى الجزائر، فتوجه خيرالدين للقائه، فانهزم جيش ابن القاضي. وفي هذا الوقت استطاع ابن القاضي أن يؤلّب قارة حسن[2]، وسكان الجزائر على خيرالدين[3].

---

[1] - ينظر – خبر قدوم عروج...– ص و: 21.

[2] - **قارة حسن:** كان من اصدقاء خيرالدين إلى درجة أنه كلفه بمحاربة ابن القاضي.ينظر – محمد بن عبدالقادر الجزائري- تحفة الزائر...- ص: 96.

[3] - خبر قدوم عروج – ظ و:21.

ويذكر بعض المؤرخين[1] أن خيرالدين طرد ابن القاضي حتى أوصله إلى غاية القل[2] التي استولى عليها هدا الجيش ، فلجأ ابن القاضي إلى عنابة، التي كانت بيد الحفصيين في تونس، يطلب دعمهم. فرجع ابن القاضي مدعما بجيش تونس لحرب خيرالدين، فالتقى الجمعان في سهل يسر، ثم فرّ جيش ابن القاضي إلى جبل فليسة أم الليل، حيث انتصر على خيرالدين ورده على أعقابه إلى مدينة الجزائر، وكانت هذه الأحداث سنة 927هـ- 1520م[3].

يستنتج من هذا أن جيش خير الدين ألتقى مع جماعة ابن القاضي أكثر من مرة، ففي المرة الأولى انهزم فيها ابن القاضي وسيطر خير الدين على مناطقه حتى منطقة القل، قبل أن يستنجد بالحفصيين، ويتجدد القتال بينهم حيث انهزم خيرالدين.وهذا على عكس المحطوط الذي يخبرنا أن خيرالدين التقى مع جيش تونس الذي أراد أن يغزو مدينة الجزائر، ويمحو أثر خيرالدين، بعدما ضمن مساعدة ابن القاضي له[4]، وقبل إلتقائهما في أحد جبال القبائل، كان ابن القاضي مع جيش خيرالدين مظهرا له وجه الصداقة، وأثناء القتال كانت خديعة ابن القاضي الذي انحاز لجيش تونس[5]، وكانت هزيمة خيرالدين في الأخير.

بعد هذه الهزيمة، اضطر خيرالدين التوجه إلى مدينة جيجل[6]، ودخل ابن القاضي مدينة الجزائر سنة927هـ- 1520م، وبقي فيها حتى رجع خيرالدين من

---

[1] - ينظر – صالح عباد – الجزائر خلال الحكم التركي – ص :51.

[2] - **القل**: مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، وهي مدينة متحضرة، مليؤة بالصناع ، أهلها ظرفاء كرماء، تجارتهم رابحة، لهم تبادل تجاري بينهم وبين أهل جنوة إذ يمدونهم الجلود ويأخذون عنهم بضائع أخرى.ينظر – حسن الوزان – وصف افريقيا - ص : 54.

[3] - ينظر – بيربروغر – المصدر السابق- ص :74.
ينظر – جوليان – تاريخ افريقيا الجنوبية – ج : 2 – ص :257.
ينظر غرامونت – المصدر السابق – ص : 33.

[4] - ينظر – ابو راس – عجائب الأسفار – ص : 141.
ينظر – محمد بن عبدالقادر الجزائري – المصدر السابق – ص: 96.

[5] - ينظر – سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص : 80.

[6] - يذكر بحري أحمد في بحثه في رسالة ماجستير أن خيرالدين طرد من مدينة الجزائر إلى مدينة جربة بتونس بعدما احتلها ابن القاضي، وهو غير صحيح لأن معظم المؤرخين يذكرن جيجل وليس جربة .ينظر – أحمد بحري – الحياة الإجتماعية بالجزائرفي عهد الدايات – إشراف: د/ دحو فغرور – رسالة ماجستير – قسم التاريخ والحضارة الإسلامية – جامعة وهران – 2001 م / 2002م – ص:11.

جيجل سنة 1525م[1]، وتتفق أغلب الروايات التاريخية على أن ابن القاضي ساء حكمه في هذه المدينة، إلى درجة أصبح فيها السكان لا يطيقونه، لكون سياسته تتسم بالجفاء والقسوة، استاءت منه كل الفئات الاجتماعية[2]، مما سهل الأمر لعودة خير الدين إلى مدينة الجزائر.

5 - سكان الجزائر:

لقد حرّض ابن القاضي أهل الجزائر على خيرالدين، قبل أن يتمكّن من حكم مدينة الجزائر، وأراد هؤلاء السكان القيام على خيرالدين، ولما سمع بذلك، أرسل علماء المدينة وشيوخها إلى هؤلاء المحرّضين، الذين كانوا مجتمعين على هذا الأمر، فنصحوهم، وذكروا لهم من الآيات والأحاديث، التي تنصّ على وجوب طاعة الحاكم، وعدم الخروج على الجماعة، فلم تزدهم هذه النصيحة إلا تشددا، وتعصبا لرأيهم، ثم رجع العلماء إلى خيرالدين بذلك، فأمر بإحضار العسكر إلى دار الإمارة، فحضروا ولبسوا أسلحتهم استعدادا لقتالهم، وبعد صلاة العصر أقبل أهل المدينة إلى دار الإمارة، فلقيهم جيش خيرالدين، ونكلوا بهم تنكيلا، ولما علموا أنهم لا طاقة لهم، فرّوا هاربين، وأمسك العسكر منهم مائتين.

وأراد العسكر قتل الذين سقطوا بين أيديهم، ولكن خيرالدين رفض ذلك، وقام إلى باب المسجد وخطب في الناس يلومهم على فعلتهم هذه، ويؤنّبهم، حتى نطق العلماء طالبين منه المعذرة، والعفو والصفح، فأمر بسجن مائتين وستين ممن تسببوا في هذه الفتنة، ثم رجع خيرالدين إلى العسكر، وأخذ رأيهم، فطلبوا منه قتلهم جميعا، وبدأ خيرالدين يتلطفهم إلى أن قتل عشرين شخصا منهم[3].

لم يذكر المخطوط أن الذين أرادوا القيام على خيرالدين هم سكان المناطق المجاورة لمدينة الجزائر إضافة إلى أهالي المدينة. كما أنه لم يذكر أيضا الخطة التي

---

[1]- ينظر – حسين مؤنس – تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح على الغزو الفرنسي – المجلد: 03 – ج: 03 – بيروت- العصر الحديث للنشر والتوزيع – 1412هـ / 1992م- ط: 01 – ص: 163.

[2] - ينظر – محمد بن عبدالقادر الجزائري – تحفة الزائر... – ص : 96.
غرامونت – المصدر السابق – ص : 33.
ينظر – صالح – الجزائر خلال الحكم التركي– ص :51.

[3] - خبر قدوم عروج – ص و: 22

كانوا يريدونها للقضاء على خيرالدين وجماعته، والتي تتمثل في حرق سفن الأتراك فتشتعل النار فيها، وعند خروج عسكر خيرالدين من المدينة لإطفائها، يقوم الأهالي بإغلاق أبواب المدينة، ومن بعد ذلك يقومون بقتل من تبقى من الرياس[1]. ولكن جواسيس خيرالدين أعلموه بما تمّ الاتفاق عليه ، فألقى القبض على المخططين منهم ، وقتل من ثبتت تهمته[2]، ولم يقتل كل من سقط بين يديه أسيرا، فخمدت ثورة الأهالي، وخافوا من إعلان التمرد والعصيان بعد ذلك [3].

ب- بعد سنة931هـ- 1524م: رجوع خيرالدين إلى الجزائر والتقائه بجماعة ابن القاضي.

1- أحمد بن القاضي:

لقد قرر خيرالدين التوجه إلى مدينة الجزائر برا، مارا على المناطق التي كانت تابعة لحكم ابن القاضي، وقبل وصوله إلى الجزائر، اشتغل بحرب ابن القاضي وأتباعه في ثلاث مواضع:

ففي المرة الأولى ناوشه أحد رجال ابن القاضي مع ثمانية عشر مائة مقاتل، في إحدى مناطقه، فاستولى عليها خيرالدين[4].

ولما سمع ابن القاضي بذلك، استعدّ للقاء خيرالدين، و توجّه إلى قتاله، حيث جاء إلى جبل، واسند ظهره إليه، وخندق على عسكره، وكان خيرالدين قريبا منه، بينهما واد، ولم يستطع الوصول إليه، وفي صباح الغد، ركب هذا الأخير فرسه، وقصد ناحية الغرب، فسمعه ابن القاضي، وظنّ أنّه فار منه، فأمر جماعته بالاجتهاد في طلبه، حتى قصدوا الناحية التي بها خيرالدين، فلما وصلوا إليه، وقع بينهما قتال

[1] - سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية - ص : 75.
[2] - محمد بن عبدالقادر الجزائري – تحفة الزائر... – ص: 96.
[3] - سامح التر - المرجع السابق – ص : 75.
[4] - ينظر - خبر قوم عروج...- ص و: 25

عظيم، وانهزم جيش ابن القاضي، وولّوا الأدبار، وجدّ خيرالدين في أثرهم، يقتلونهم كيف شاءوا، فكان عدد القتلى من جماعة ابن القاضي أربعة ألاف رجل[1].

وأمّا الباقون من جماعة ابن القاضي، فتحصنوا ببعض الأوعار من الجبل الأول، فأتى خيرالدين إلى هذا الجبل، ودعى أهل تلك المنطقة إلى طاعته، ومحو دعوة ابن القاضي، فاستجابوا له، وفي هذه الأثناء، رجع ابن القاضي إلى الجزائر، وجهّز جيشا آخرا، وخرج به إلى مكان ضيق، ونزل به، وخندق فيه، أمّا خيرالدين فتقدّم نحوه، حتى أشرف عليه، ولم يجد مسلكا إليه، فعاود الحيلة السابقة، واستدرجهم إلى مكان آخر، فبعث أبن القاضي في أثره ثلاثة ألاف من عسكره، فلما وصلوا إليه، أخذوا في قتاله، وكان خيرالدين به مضيق، فجعل يتأخر عنهم قليلا، والحرب في أثناء ذلك لم تنقطع بينهم، وكان جيش ابن القاضي لما رأوا اختلال أمرهم، وأنهم لا طاقة لهم بمقاومة خيرالدين، تمالؤوا على قتله، إذ وثب عليه بعضهم، فطعنه، فمات ابن القاضي، وانهزم عسكره[2].

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ رجوع خيرالدين إلى مدينة الجزائر، فمنهم من يوافق مخطوط " خبر قدوم عروج.."، ويقر بدخوله سنة930هـ- 1523م، أي بعد ثلاث سنوات من خروجه إلى جيجل[3]، ومنهم يذكر سنة 933هـ- 1526م[4]، وكثير منهم من يذكر سنة 932هـ- 1525م[5].كما لم يذكر المخطوط أنّ خيرالدين أتّفق مع عبد العزيز- زعيم قبائل بني عباس – ودخل هذا الأخير في طاعته، بل أشار إلى ذلك

---

[1] - المصدر نفسه - ظ و: 25.

[2] - المصدر نفسه – ظ و: 26.

[3] - بيربروغر – المصدر السابق – ص : 74.

[4] - Hammar .V.DE .Histoire de L'Empire Ottoman depuis son origine Jusqu'à nos gours. Trad de l'Allemand pae J.Halbert.T5.(1520 – 1547) Bossange. Bellirard et cie .Paris Londres . 1836. p :240.

[5] - ينظر – غرامونت – المصدر السابق – ص : 33.
ينظر – كورين شوفالييه – الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر- ص : 46.
ينظر Mercier. E. Histoire de l'Afrique Septentrionale (Barbarie) depuis les temps les plus recules jusqu'à la conquête .Française .1830 .T3 .E.Leroux. Paris .1891. p :27
ينظر – أرجمنت – السياسة العثمانية... – ص : 22.

فقط، كما لم يذكر المنطقة التي وقعت فيها هذه الوقائع، فالمعركة الأولى كانت بواد بوقدورة، أما المعركة التي مات فيها ابن القاضي فكانت في ثنية بني عائشة[1].

2 - قارة حسن :

لما وصل خيرالدين إلى مدينة الجزائر، قادما إليها من جيجل - بعد انتصاره على ابن القاضي- توجه مباشرة إلى شرشال لمحاربة قارة حسن الثائر عليه، فلما وصله، تحصن هذا الأخير في إحدى حصون المدينة، ومعه ثلاثة عشر من رجاله، وأما الباقون فذهبوا إلى خيرالدين، وطلبوا منه العفو، فعفى عنهم، شريطة أن يدلوه على مكان عدوه، فدلوه على ذلك، فوجّه إليه من أتاه به ومن معه، فلما مثلوا أمامه، طلب الثلاثة عشر الذين كانوا مع قارة حسن العفو، فأبى، وبدأ يوبخه، ثم قتله[2].

لقد كانت هذه الواقعة سنة932هـ- 1525م، مباشرة بعد ما انتهى خيرالدين من شوكة ابن القاضي[3].علما أن قارة حسن كان من أصدقاء خيرالدين، حيث بعثه مرة إلى ملاحقة ابن القاضي، ولكن هذا الأخير هو الذي استطاع أن يستميله، ويفرق بينه وبين خيرالدين[4] .

3- مولاي عبدالله:

ما إن رجع خيرالدين إلى مدينة الجزائر، بعد استقراره بجيجل، حتى بدأ في القضاء على المناوئين له، ومن هؤلاء مولاي عبدالله، حيث التقى معه خيرالدين مرتين[5].

فالأولى كانت بعد القضاء على ابن القاضي، عندما سولت لمولاي عبدالله نفسه، الخروج على طاعة خيرالدين، حيث أرسل إلى أخ ابن القاضي يحرضه بثأر أخيه، طمعا في أن يشغل خيرالدين عنه، فلما سمع هذا الأخير بذلك، وجّه له كتابا

[1] - ينظر - صالح عباد – الجزائر خلال الحكم التركي – ص : 51.
ينظر – سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص :84.
[2] - خبر قدوم عروج- ظ و:26.
[3] - ينظر – سامح التر – المرجع السابق – ص : 85.
ينظر – محمد بن عبدالقادر الجزائري – تحفة الزائر... – ص :97.
[4] - ينظر – محمد بن عبدالقادر- المصدر نفسه – ص :96.
[5] - محمد بن عبدالقادر الجزائري- المصدر السابق – ص : 95.

يلومه ويحذره، وبعد استشارة مولاي عبدالله أعيان مدينته، أخذ في الإستعداد لمحاربة خيرالدين، و في أثناء ذلك فرّ ابنه إلى خيرالدين، فأكرم نزله.

ولما تمّ لمولاي عبدالله استعداده للحرب، توجّه قاصدا مدينة الجزائر، فخرج إليه خيرالدين، فالتقيا، ووقع بينهم قتال عظيم، فكانت الكرّة على جيش تلمسان، ففرّ مولاي عبدالله يطلب النجاة لنفسه، وتبعه جيش خيرالدين، فقتلوا عددا كبيرا منهم، ورجعوا منصورين إلى الجزائر. ولما علم صاحب تلمسان هذا، أنّه لا طاقة له بمناهضة خيرالدين، ركن إلى المهادنة، وإعطاء الطاعة ظاهرا، فبعث إليه أكابر قومه للصلح والعفو، فقبل ذلك لحلمه[1].

أمّا الثانية، فكانت قبل سفره إلى حضرة السلطان – سليمان القانوني- حيث وجّه الإسبان إلى مولاي عبدالله، يعيدون ويمنونه، وأرسلوا إليه مالا عظيما لإغرائه، قصد الإنتفاض على خيرالدين، فكان لهم ما أرادوا، واستعدّ مرة أخرى للتوجه إلى هذا الأخير، لمحاربته، فسمع خيرالدين بهذا الأمر، واستعدّ هو الآخر للقاء عدوه، وخرج صوب تلمسان فالتقيا، ودار بينهم قتال عظيم، فلما رأي أتباع المتمرد أنهم لا طاقة لهم بقتال خيرالدين، ضعف جيش مولاي، وانهزم، وتبعهم جيش خيرالدين في أثرهم حتى نزل عليه بتلمسان، وعند ذلك وجّه إليه مولاي كعادته مشايخ حضرته، يلتمسون منه الصلح، فأبى خيرالدين، وهنا خرج هو بنفسه وترامى بين يديه، وجعل يتضرع إليه في الإبقاء عليه، وكان خيرالدين رجلا حليما، فعفى عنه، ورجع إلى الجزائر منصورا[2].

لقد كان سلطان تلمسان في كل مرة، بعد انهزامه يرسل أكابر قومه إلى خيرالدين، يترجاه، ويطلب منه المعذرة والعفو، ولحلم هذا الأخير كان يقبل ذلك.

ولكن بعض المراجع التاريخية تذكر أن السلطان مولاي عبد الله الذي ساعده خيرالدين على تولية حكم تلمسان، بعد ما كان أخوه مسعود حاكما عليها سنة 925هـ-

[1] - خبر قدوم عروج – ص و، ظ و : 27 – 27.
[2] - المصدر نفسه – ص و، ص و: 34 – 35.

1519م، وتوفي سنة 930هـ - 1524م[1]، وهناك من يرى أن وفاته كانت في سنة 934هـ/1528م[2]، كما يختلفون أيضا حول خليفته، فبعضهم يذكرون أنّ ابنه أبا عبدالله محمد، وهو الذي انصاع لدسائس الأسبان، واحتمى بهم، حتى تمكن خيرالدين منه، ثمّ عفا عنه، وبقي هذا السلطان متذبذبا بين الأسبان وبين الأتراك[3]، وهناك من يرى[4] أنّ أبا زيان أحمد هو الذي خلف مولاي عبدالله، بينما محمد جاء إلى الحكم بعد هذا الأخير.

4- حسين ابن القاضي :

ما إن دخل خيرالدين مدينة الجزائر، حتى ظهرت مشكلة منطقة القبائل من جديد، حيث استغل حسين ابن القاضي خروج خيرالدين إلى تلمسان، لتأديب مولاي عبدالله، ودخل نواحي مدينة الجزائر، وعاث فيها فسادا. ولما رجع خيرالدين إلى الجزائر، سار إليه، " فسمع بقدومه أخو ابن القاضي، ففرّ هاربا لا يلوى على أحد، فجدّ خيرالدين في طلبه، قالوا وبقي في طلبه نحو السنتين، ليريح ذلك الوطن من دائه، و يخرب دياره، و يستولي على أهله وولده، فعند ذلك بعث إليه في شأن الصلح، و قرر على نفسه ثلاثين حملا من الفضة، يوجهها إليه كل سنة فقبل منه ذلك خيرالدين"[5]، ورجع إلى الجزائر.

هكذا كانت نهاية حسين ابن القاضي بالاستسلام، والقبول بدفع الضريبة لخيرالدين[6]. بعد أكثر من عامين من متابعته له[1].

---

[1] - ينظر – عبدالرحمان الجيلالي – تاريخ الجزائر العام – ج:03 – ص: 225.
ينظر – الحاج محمد بن رمضان شاوش – باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان- الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية – الجزائر- 1995 - ص: 117.
يقول ألستاذ محمد بوعياد: الملوك الذين أتوا من بعده(المتوكل) فإن المصادر تختلف في أسمائهم وفي مدة ملكهم ، وفي تتابعهم ، اختلافا مدهشا. ينظر - محمد بن عبدالله التنسي – تاريخ بني زيان ملوك تلمسان – مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان – تحقيق وتعليق : محمود بوعياد – ص: 55.

[2] - ينظر - شاكر مصطفى - موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها - ج: 02 - ص: 1272.

[3] - ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة ... – ص: 300.

[4] - ينظر – ابن الأحمر – تاريخ تاريخ الدولة الزيانية – تقديم وتحقيق وتعليق: هانى سلامة– مكتبة الثقافة الدينية - بورسعيد ، مصر– ط:01 – 1421هـ / 2001م – ص:55.

[5] - خبر قدوم عروج – ص و: 28.

[6] - ينظر - .بيربروغر – المصدر السابق - ص : 96.

ينظر – صالح عباد – الجزائر خلال الحكم التركي – ص : 52.

وبنهاية المشاكل الداخلية التي كان المتمردون سببا لها، استطاع خيرالدين أن يوحد صفوف سكان الجزائر ضدّ المحتل الإسباني في الداخل، وأن يعطي للجزائر مهابة عند الدول الأخرى، بعدما استعادت كيانها الذي تخلخل[2]، حيث استطاعت القوات البحرية الجزائرية أن تغزو البلدان النصرانية، وهذا ما سأبيّنه في الفصل الآتي.

[1] - ينظر – بيربروغر – المصدر السابق- ص : 96.

[2] - ينظر - د/ أبو القاسم سعد الله – أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر – ج: 04- دار الغرب الإسلامي – بيروت -1996- ط: 01- ص: 190.

الفصل الثالث : أعماله خارج الجزائر

المبحث الأول:أعماله على عرض البحر:

أ - فيما بين سنتي 927هـ- 1520م و932هـ- 1524م

ب- في سنة 937هـ- 1530م

ج- في سنة 940هـ- 1533م

د- في سنة942هـ- 1535م

المبحث الثاني: أعماله في بلاد النصارى:

أ- **أعماله في اسبانيا**:1- نجدة مسلمي الأندلس

2– في سنة 937هـ- 1530م

3 - في سنة 940هـ- 1533م

4- جزر الباليار

ب- أعماله في ايطاليا:1- في سنة938هـ- 1531م

2- في سنة940هـ- 1533

3- في سنة941هـ- 1934م

ج- **أعماله في اليونان: 1-** في البحر الأيوني

2- في البحر الإيجي

د- واقعة ثاروزاء

المبحث الثالث: أعماله في تونس

أ- في مدينة تونس

ب - **في مدينة القيروان**

لقد فتح بحارة الجزائر منذ نهاية القرن الثمن الهجري الموافق القرن الرابع عشر للميلادي عهدا جديدا هو عهد الرباط البحري، فإذا كان أصحاب الرباطات خلال العصور السابقة ينتظرون العدو على التخوم، فإن مرابطي القرون الحديثة، ولا سيما القرن السادس عشر، حيث صاروا يرابطون في أعالي البحار، للذود عن سواحل بلادهم، وردع العدو على مهاجمتها، أو محاولة احتلالها.

كما كان هؤلاء البحارة وباعتراف الكتاب الغربيين أنفسهم يمتزون بشجاعتهم وحنكتهم ونظامهم، إذ يذكر هايدو: "أن رجال البحرية الجزائرية كانوا يجوبون البحار من الفجر إلى الغروب وخلال الشتاء والربيع بدون خوف، ويسخرون من بوارجنا التي طاقمها في الموانئ المسيحية وكأنهم يخرجون للصيد "[1].

ومن هؤلاء خيرالدين الذي كثيرا ما كان يخرج إلى البحر، حيث يلتقي مع سفن النصارى، فيتغلب عليهم، بعد قتال بينهم، ثم يقود هذه السفن إلى الجزائر بما حوت، ويكرر هذا العمل، الذي يصفه الكتاب الغربيون بالقرصنة واللصوصية[2]، ويصفه المسلمون بالجهاد البحري، وكان هذا العمل كرد فعل على التهديدات النصرانية، فهو "عمل شرعي، وحق مشروع في الدفاع عن النفس" [3].

وبهذا العمل خضعت الملاحة في البحر المتوسط لسيطرة الأساطيل الإسلامية[4]، وأصبحت الجزائر قوية، مرهوبة الجانب في هذا البحر، بفضل قوة بحريتها[5]، التي انيطت لها حماية السواحل الجزائرية من الحملات الأوربية.

---

[1] - HAEDO. F. ,Topographie et Histoire générale d'Alger,trad. de l'Espagnol D.DE par Dr :Monnereau et A .Berbrugger.in Revue Africaine.T15. 1870.p45.

[2] - ينظر - جلال يحي – تاريخ المغرب الكبير – ج: 03 – دار النهضة العربية – بيروت – 1981 – ص: 20

[3] - ناصر الدين سعيدوني – الجزائر في العهد العثماني – ص: 44.

[4]- ينظر – محمد برج – الأهمية المتزايدة للبحر المتوسط – مجلة الثقافة– الجزائر – العدد: 13 – صفر 1393هـ /مارس1973– ص : 72.

[5] - ينظر - أحمد السليماني – النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني - الجزائر – 1994- ص: 51.

1- أعماله في عرض البحر:

ولم يقتصر عمل خيرالدين على محاربة النصارى في الجزائر فقط، بل كان يلتقي بسفنهم على عرض البحر، فيصطدم معهم، ويذكر مخطوط " خبر قدوم عروج.." الجولات البحرية الجهادية، التي قام بها خيرالدين، وهي كثيرة منها:

أ- فيما بين سنتي: 927هـ-1520م و932هـ-1524م:

وبعدما ضاقت على خيرالدين مدينة الجزائر، بسبب قيام ابن القاضي عليه ورجعت أمورها إلى هذا الأخير- كما ذكرت سالفا في الفصل الثاني- سافر إلى مدينة جيجل، واستقر بها، وكان الجو مساعدا للعمل البحري، فبدا له أن يسافر في البحر، قصد غزو بلاد العدو، وخلال مدة إقامته بهذه المدينة بين سنتي: 927هـ- 1520م و932هـ- 1525م[1]، كان نشاطه البحري كثيرا جدا[2]، وقد رصد المخطوط ستة مرات خرج فيها خيرالدين إلى البحر غازيا منها :

1- سافر خير الدين مرة في سبعة سفن حربية، وفي عرض البحر لقي سفنا للعدو، ووقع بينهما اصطدام، فلما أغرق منهم سفينة، دهش العدو، وتحققوا أنه خيرالدين، فأسلموا أنفسهم إليه، ووجد هذا الأخير هذه السفن مملوءة برّا، ثمّ رجع إلى مدينة جيجل، بعد تسعة أيام من سفره، وحينما وصل إليها، شرع في توزيع هذا البرّ على أهلها[3] .

2- ثم خرج خير الدين مرة ثانية إلى البحر، فغنم سفينة للنصارى مملوءة ملحا فرجع به إلى جيجل، في الوقت الذي كان سكان هذه المدينة بحاجة إلى الملح، فوزّعه خير الدين عليهم، ثم أنه أدركه فصل الشتاء فأقام بها على رسم عادته[4].

3- ولمّا حلّ فصل الربيع، وتهيأ أوان السفر، جهز خير الدين تسعة سفن للإبحار، فاتجه نحو تونس، فاستولى على تسعة من سفنهم، ثمّ رجع إلى مدينة جيجل، وأطلق

---

[1] - ينظر- حسين مؤنس - تاريخ المغرب وحضارته الإسلامي إلى الغزو الفرنسي– العصر الحديث للنشر والتوزيع – بيروت – ط: 01 – 1412هـ/1992 م – المجلد: 03 – ج: 03 - ص: 163.

[2] - ينظر- عبد الرحمان الجيلالي – تاريخ الجزائر العام – ج: 03 – ص: 49.

[3] - ينظر - خبر قدوم عروج ...– ظ و:23.

[4] - المصدر نفسه – ص و: 24.

سراح التونسيين الذين ألقى القبض عليهم في البحر، وأصبح لخير الدين ثمانية عشر سفينة[1].

والملاحظة على هذه الجولة البحرية ، التي خرج فيها خير الدين إلى تونس، وحسب المخطوط لم يتابع سيره نحو جنوب ايطاليا، مثلما ذكره توفيق مدني، إذ يقول: " خرج إلى الغزو مجددا بتسع سفن بالقرب من السواحل التونسية، واستولى على عدة سفن عائدة لسلطان تونس، فأحرقها ثم تابع طريقه إلى جنوة[2] " [3]، بل رجع إلى مدينة جيجل.

4- ثم خرج خير الدين مرة أخرى إلى البحر، فلم يغنم شيئا في هذه السفرية، ورجع إلى جيجل[4]. والملاحظ هنا أن المخطوط لم يوضّح مدة هذا السفر ولا تاريخها، وحتى حجم السفن التي خرج بها خيرالدين إلى البحر لم يذكرها.

5- ثم أنّه عاود السفر مرة أخرى، فلقي سفينة كبيرة، فأخذ خيرالدين في قتال طاقمها، فوصلت إليه كورة، ألقت في البحر، وتلتها أخرى، أسقطت عمامته عن رأسه، وكادت أن تصيبه، ثم أنّه ثار به إقدامه وشجاعته المعهودة، فقرب إلى هذه السفينة حتى لاصقها، وهاجم على ربانها بنفسه، وضرب يد رئيسها، فقطعها، وثنى عليه آخر من المسلمين، فرمى رقبته في البحر، فعند ذلك طلب طاقم هذه السفينة من المسلمين الأمان، وألقوا إليهم بأيديهم، فاستولى خيرالدين على هذه السفينة، فوجد فيها مائتي قنطار حريرا، وأربعين شقة من الملف الملون، وستة عشر صندوقا من سائر السلع المختلفة، فأرسل بها إلى جزيرة جربة بتونس.

وأراد الرجوع من سفره، فسمع أن مركبا للنصارى محتويا على عدد كبير من أسرى المسلمين من أهل تونس، فثنى عزمه إلى لقائه، والتصدي لقتاله، فقصد نحو تونس، فبينما هو ذاهب إليها، إذ لقي المركب الذي كان يطلبه، فشرع في قتاله، حتى

---

[1] - المصدر السابق – ظ و: 24.

[2] - **جنوة**: مدينة ايطالية، على ساحل البحر المتوسط، وهي مدينة قديمة البناء حسنة الجهات، شاهقة البناء ، وافرة البشر، كثيرة المزارع، والقرى، والعمارات، وأهلها تجار يسافرون برا وبحرا، ولهم أسطول بحري ، لهم خبرة في فنون البحرية. ينظر- محمد بن عبد المنعم الحميري – الروض المعطار – ص: 173.

[3] - أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة بين الجزائر واسبانيا – ص: 209.

[4] -خبر قدوم عروج – ظ و: 24.

استولى عليه، فوجد فيه أسرى المسلمين من أهل تونس ففكّ قيودهم، وأنقذهم مما كانوا فيه من الأسر، وقصد خيرالدين جربة، فوصلها، وقسّم الغنيمتين بين جماعته، فحصل بأيديهم من ذلك خير كثير[1].

في هذه المرة يقدم مخطوط " خبر قدوم عروج..." هذه الخرجة البحرية بشيء من التفصيل مقارنة بالمرات الأخرى.

6- ومن تونس خرج خير الدين وأحد أصدقائه إلى البحر كعادته، في أربعين سفينة، فاستولوا على غنائم كثيرة، وذخائر غزيرة، وبعد مدّة من هذا السفر رجع خير الدين إلى مدينة جيجل[2].

هذا ما ذكره صاحب المخطوط، ولكن خيرالدين خلال مدة إقامته بجيجل من سنة 927هـ- 1520م إلى غاية 931هـ- 1524م، السنة التي بدأ في التحرك إلى مدينة الجزائر، متخذا البر طريقا له، كان جل وقته يقضيه في العمل البحري، فلا يعقل أن يخرج خيرالدين الذي يفضل الجهاد البحري عن غيره أن يخرج ستة مرات فقط خلال هذه المدة، وأما الكتاب الآخرون فإنهم يذكرون أن خيرالدين لما استقر بجيجل توجه مباشرة إلى العمل البحري، ولكنهم لم يذكروا لنا حجم هذا العمل بالضبط، وكل ما ذكر أن خيرالدين قام بنشاط بحري كبير، مثلما جاء في تحفة الزائر أن " خيرالدين أقبل على الغزو، فتزلزلت أقطار الإفرنج منه وتناذروا به من عواصمهم.."[3] كما أشار أحد المؤرخين أنه كان يوزع ما يغنمه من الغزو على سكان المدينة فيرفع عنهم الفاقة"[4].

ب ـ في سنة 937هـ - 1530م:

لما دخل عروج مدينة الجزائر، أوّل عمل قام به هو مهاجمة حصن البنيون، ولم يفلح في الاستيلاء عليه، ولكنه استطاع أن يقطع عنهم طرق التمويل بالمؤونة، من طعام وماء، حتى أصبحوا يأتون بها من إسبانيا.

---

[1] - خبر قدوم عروج – ظ و: 24.
[2] - المصدر نفسه – ص و: 25.
[3] - محمد بن عبدالقادر الجزائري- تحفة الزائر... – ص: 96.
[4] - سامح التر- الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص: 81.

ولمّا استطاع خير الدين فتح هذا الحصن، واستولى عليه في هذه السنة، بعث سلطان اسبانيا – شارل كان - تسعة سفن محملة بالطعام، وآلات الحرب، والرجال إلى حصن البينيون، وقال لأهل هذه السفن:" أن احتاج إليكم أهل الحصن فكونوا معهم"[1]، فلما وصلت إلى ضواحي مدينة الجزائر، نظروا إلى الحصن، فلم يروا منه أثرا، فبهتوا من ذلك، وارتابوا في أمرهم، فعلموا أن أهل الجزائر فتحوه، وهدموه، ثمّ أرادوا الرجوع إلى بلادهم.

وبينما كانت سفن خيرالدين مستعدّة للسفر، فلما رأوا سفن العدو، ركب العسكر البحر، لطلبهم، فما كان إلا ساعة حتى وصلوا إليهم، فحين رآها النصارى في أثرهم، علموا أنهم لا ينجيهم الفرار منه، فوقفوا لهم، وأخذوا في قتالهم، واستولى عسكر خيرالدين على هذه السفن، ودخلوا بها إلى الجزائر.

واستطاع المسلمون أسر ألفين وسبعمائة شخصا من هذه السفن، حيث أمر خيرالدين بضمهم إلى أسرى الحصن، وطلب بإحضار مسؤول هذه السفن، وسأله عن أمر ملك اسبانيا، وسبب مجيئهم إلى الجزائر، فأخبره أن الملك مقيم بمدينة برشلونة[2]، وهو عازم على السفر إلى أرض الجنويز[3]، وأما سبب مجيئهم فهو تزويد أهل الحصن بالمؤونة، وجمع ما يحتاجون إليه، ولو علمنا أن أجفانك حاضرة ما كنا نقرب من هذه الساعة[4]. إن قولهم هذا لدليل على قوة خيرالدين وعلى مكانته العظيمة عند النصارى، ومهابتهم منه.

2- ومرة أخرى أمر خيرالدين بعض أصحابه لغزو بلاد النصارى، وقال لهم: " اعزموا على السفر، وتوكلوا على الله سبحانه، ولا تروا إلا خيرا، فامتثلوا أمره ، وسافروا مع بعض أجفانه، فاستولوا على مركب عظيم، ودخلوا به في اليوم السابع من سفرهم إلى الجزائر، وكانت تلك الغنيمة لم يعهد مثلها نظير "[5].

---

[1] - خبر قدوم عروج– ظ و: 29.

[2] - **برشلونة**: مدينة اسبانية، على ساحل البحر المتوسط، بها مرسى يسمى " ترش" ، لا تدخله المراكب إلاّ عن معرفة. ينظر - محمد بن عبد المنعم الحميري – الروض المعطار - ص: 86.

[3] - أرض الجنويز: هي مدينة جنوة .

[4] - خبر قدوم عروج - ظ و: 29.

[5] - المصدر نفسه – ص و: 33.

والملاحظ هنا أنّ المخطوط لم يوضّح أين اتجه خير الدين بالضبط، كما لم يوضّح أيضا من هم أصحابه؟

ج- في سنة 940هـ 1533م:

لقد استدعى السلطان سليمان خير الدين إلى مقر الخلافة العثمانية، فبدأ هذا الأخير في الاستعداد لتلبية دعوته، فسمع اندري دوريا بهذا، وأراد أن يشغله عن التحاق بالخليفة سليمان، فأرسل سفينة إلى الجزائر محملة سلعا للبيع، ومسلمين للفدية، فاشترى خير الدين هذا المتاع، وأعطاهم فدية المسلمين، ولكنه علم أن هذه مكيدة من العدو، فأمر بتحصين البلاد، والاستعداد لصدّ أي غزو كان للبلاد.

وفي هذه الأثناء كانت بعض سفن خير الدين مسافرة، فغنم أصحابه أربعة سفن صغيرة للنصارى، فيها مائة وأربعة وعشرون أسيرا، منهم فتى من أبناء ملوك رودس[1]، فرجعوا بهم إلى الجزائر.

ولكن النصارى - أهل هؤلاء الأسرى - حزنوا لذلك حزنا عظيما، وأقاموا في الكنائس ثمانية أيام، ينوحون على أسراهم، ثم اتفق رأيهم على فداهم من أيدي المسلمين، وبعثوا إلى خيرالدين رسلهم قصد الفدية.

أما خير الدين فلما وصله هؤلاء، لم يقبل طلبهم، وقال لأعيان البلد:" إنّ هؤلاء الكلاب لا ينسون ثأرهم، فإذا وصلوا إلى بلادهم عمروا الأجفان في طلبنا"، فاستصوبوا رأيه، وقالوا لهؤلاء الرسل: "أميرنا لا يقبل فيهم فداء، ونحن على مثل رأيه"، فرجعوا إلى بلادهم خائبين، فتضاعف عزاء النصارى لذلك، وشددوا على أسرى المسلمين الذين في أيديهم، وضاعفوا عليهم العذاب، ورجع خيرالدين عن رأيه للسفر إلى إقليم الروم، وقال إن ذهبت، وتركت الأسرى من النصارى بالجزائر، أخشى على المدينة من غائلتهم، وإن سافرت بهم معي، أخاف من أمور البحر، فربما يخلصوا إلى بلادهم[2].

---

[1] - **رودس**: جزيرة في البحر، وهي من الثغور الشامية أو الجزرية، افتتحها جنادة بن أبي أمية عنوة في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ينظر - البكري - معجم ما استعجم من البلاد والمواضع – ص: 683.

[2] - خبر قدوم عروج – ظ و، ظ و:35- 36..

ثمّ عزم خير الدين على السفر إلى اسطنبول، وفي طريقه كان لا يلتقي سفنا إلا واستولى عليه، إلى أن وصل إلى ناحية بروازن[1]، حيث أرسل إلى الجزائر خمسة وعشرين سفينة من سفنه، فصادفت هذه الأخيرة سبعة سفن للعدو من أهل نابل[2] فاستولوا على إثنين منها، وفر الباقون، فدخلوا بهما إلى الجزائر[3].

د – في سنة 942هـ/ 1535م:

لقد كان عدد سفن خير الدين قبل عودته من تونس بعد هزيمته فيها سنة 942هـ-1535م تسعة سفن، وحين استقر بالجزائر أنشأ ثمانية سفن، إضافة إلى السفن الخمسة عشر التي قدم بها، فصار لديه اثنان وثلاثون سفينة، فركب البحر مسافرا في هذه السفن، برسم الغزو، حتى وصل قرب من ناحية ميورقة[4]، فأرسى على بعد ثلاثين ميلا منها، فسمع أصوات المدافع من مدينة ميورقة... فأقلع عن هذا المرسى، فالتقى أجفانا لملك اسبانيا، فيها بعض الأسرى[5] من أهل تونس، كان وجه بهم إلى بلاده، فاستولى عليهم خيرالدين، فاستنفذ المسلمين مما كانوا فيه، وجعل القيود التي كانت في أرجلهم على أرجل النصارى المأسورين، وأحرق الأجفان، واستمر مسافرا إلى ناحية ميورقة[6].

2 – أعماله في بلاد النصارى:

لقد كانت أوروبا الجنوبية عرضة لأعمال خير الدين الجهادية، فكان يغزوها مرارا، قصد الرد على هجمات نصارى هذه البلاد على الجزائر، أو نقل مسلمي الأندلس إلى منطقة شمال افريقية، وإنقاذهم من العذاب المسلّط عليهم من طرف

---

[1] - **بروازن**: هي بريفزة أو بيلوس وهي مدينة يونانية على ساحل البحر الأيوني. سعيد الصباغ – الأطلس العربي العام – مطابع فرديكو اوغسطين – ايطاليا – 1385هـ/ 1965م – ص: 50.

[2] - **نابل**: مدينة إيطاليا على ساحل البحر المتوسط، وهي مدينة عامرة، أهلها تجار، بها أسواق نافقة السلع، وافرة البضائع والمتعة... ينظر - محمد بن عبد المنعم الحميري - الروض المعطار – ص: 571.

[3] - خبر قدوم عروج – ظ و:38.

[4] - **ميورقة**: هي جزيرة في البحر المتوسط، قد فتحها عصام الخولاني على عهد الأمير الأموي عبدالله بن محمد بن عبدالرحمان سنة 290هـ، واستطاع الإسبانيون أن يقضي عليها ويحتلها سنة 628هـ .
ينظر- د/ محمد بن معمر – قراءة في مخطوط تاريخ ميورقة لابن عميرة المخزومي – مجلة التراث العربي – دمشق- جمادى الأولى 1426هـ / حزيران 2005 – العدد : 98 – ص: 253.

[5] - لم يذكر عدد اسرى المسلمين ولا عدد النصارى الذين كانوا في هذا المركب.

[6] - خبر قدوم عروج ...– ص و: 43.

النصارى، وكانت جنوب اسبانيا وايطاليا وجزر اليونان من أكثر المناطق التي كان خير الدين يتردد عليها.

أ – أعماله في اسبانيا: عرفت الجزائر تهديدات من قبل الإسبانيين، الذين شنّوا عدّة حملات ضدّ الجزائريين، كما حاولوا تنصير مسلمي الأندلس عنوة، ولكن خير الدين كان بالمرصاد، فرد على هذه الهجمات بغزوه لبلادهم من جهة، ونقل مسلمي الأندلس إلى ضفة شمال افريقية من جهة أخرى.

1 – نجدة مسلمي الأندلس:

إن تنشئة خير الدين الإسلامية، وقوة عقيدته المتينة، جعلته يلبّي أي نداء استغاثة، يأتيه من المسلمين في أيّة جهة كانوا، فلما سمع بعذاب المسلمين باسبانيا، قام بإرسال قواته إليهم لنجدتهم، وتكررت هذه العملية مرارا.

ففي سنة 926هـ- 1519م، أرسل خير الدين قواته البحرية التي شاركت في فتح مدينة مستغانم مباشرة إلى الأندلس، قصد نقل مسلميها إلى الجزائر[1]، ثمّ رجعت هذه القوات بعدد كبير من مسلمي الأندلس إلى مدينة الجزائر.

وفي سنة 927هـ- 1520م، نقل صالح رايس عددا كبيرا من مسلمي الأندلس إلى مدينة جيجل[2]، وفي هذه السنة، سافر خير الدين بنفسه إلى الأندلس، ورجع بعدد كبير من مسلميها[3].

وتبقى أهم غارة قامت بها قوات خير الدين من أجل نقل مسلمي الأندلس إلى مدينة الجزائر، تلك الغارة التي قام بها ايدين رايس[4] وصالح رايس إلى سواحل

[1] - المصدر نفسه – ص و: 20.
[2] - المصدرالسابق – ص :59.
[3] - المصدر نفسه – ص و: 25.
[4] - **ايدين ريس**: واحد من البحارة الجزائريين، له كفاءة حربية كبيرة، وقدرات قتالية عالية...ينظر – ناصر الدين سعيدوني – ورقات جزائرية ..- ص: 191.

اسبانيا في سنة 936هـ-1529م[1] بأمر من خير الدين، بعدما سمع بأنّ مسلمي هذه البلدة في ضيق شديد، جراء معاملة النصارى لهم، وصلت قوات خير الدين إلى مدينة بلنسية[2]، وجودوا المسلمين متحصنين بجبل يقال له بارادوا[3]، والنصارى يضايقونهم، وفي هذه الأثناء وقع قتال عظيم بين قوات خير الدين وهؤلاء النصارى، الذين لم يستطيعوا مواصلة القتال، ففروا، وتبعهم المسلمون في آثرهم حتى أبعدوا عن مكانهم، ثم رجعوا.

وبعد هذا النصر، أخذ المسلمون ما قدروا عليه من متاعهم، فأتوا به إلى السّفن، وركبوا فيها بعضهم فقط لكثرتهم، ورجعوا إلى الجزائر بعدما خلّفوا ألفي مقاتل من العسكر، يحرسون جماعة المسلمين الباقية من الأندلس، خوفا من غائلة النصارى، فلما وصلت السفن إلى الجزائر خلفوا ما حملوه من الأندلس بها، ورجعوا إلى ذلك الجبل، لحمل بقية المسلمين، فتكرر ذلك منهم سبع مرات فكان من جملة ما حملوه من أهل الأندلس على ما قيل سبعين ألفا، وبقيت عادة سفن الجزائر، أنهم في كل سفرة يسافرونها، يأتون إلى سواحل بلاد الأندلس، قصد نقل جماعة المسلمين إلى سواحل الجزائر[4].

لقد كان خير الدين يشجع بقوة حركة إنقاذ مسلمي الأندلس[5]، فقد هاجم السواحل الإسبانية مرارا، وجمع في سفنه الكثير من المسلمين الراغبين في الهجرة إلى الجزائر، كما أسر كثيرا من الأسبان. وقد جاء في تقرير سري إسباني عن حالة الجزائر بعث من بجاية في 29 مارس 1536م الموافق لسنة 943هـ، ورد ما يلي:" يوجد الآن في مدينة الجزائر ألفا من الأتراك، وسبعة أو ثمانية آلاف من مهاجري

[1] - محمد عبدالله عنان - دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين – ط: 04 - مكتبة الخانجي – مصر – 1997م – ص: 386.

[2] - **بلنسية**: مدينة مشهورة بالأندلس، وهي برية وبحرية، ذات أشجار وأنهار، وتعرف بمدينة التراب. ينظر- ياقوت الحموي- معجم البلدان - ج: 01- ص: 490.

[3] - **جبل باردوا**: هو جبل لأرطونة بمدينة بلنسية. ينظر- الزهري – كتاب الجغرافيا – ص: 102.

[4] - المصدر السابق – ص و: 35.

[5] - ينظر – عبد الجليل التميمي – رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541م – المجلة التاريخية المغربية – تونس- العدد: 03 – 1975 – ص: 39.

الأندلس في مدن الجزائر، ومليانة[1]، وبقاع أخرى، وضع بها خير الدين حاميات.."[2]، هذا ما يدل على مدى الدور الفعال الذي قام به خير الدين، لإنقاذ آلاف مسلمي الأندلس إلى السواحل الجزائرية.

2- سنة 937هـ 1530م:

ما إن تمّ لخير الدين الاستيلاء على حصن البنيون، حتى أصبحت مدينة الجزائر في مأمن عن تهديدات النصارى، الذين كانوا في هذا الحصن، بل أصبح أهلها يشنون غارات على سواحل بلاد النصارى، وذات مرة سمع خير الدين سفر سلطان إسبانية إلى جنوة، فجهز خمسة عشر سفينة قصد الغزو، وقدّم عليهم بعض رجاله المعروفين بالإقدام والكفاءة[3]، وقال لهم:" تغنمون إن شاء الله غنيمة كبيرة، هذه ساعة الإجابة "[4]، فأقلعوا من الجزائر مسافرين، وهاجموا اسبانيا، فأسروا منهم عددا كثيرا. ولما رأى أهل هذه السواحل ما حلّ بهم، ذهبوا إلى سلطانهم مستغيثين، شاكين له ذلك، قائلين له: "إن المسلمين يستولون على بلادنا لا محالة، لأنك أهملتها، ولم تشتغل بحراستها حتى تسلّط عليهم المسلمون"[5]، فسمع منهم ذلك، وأمر بتجهيز السفن تحت قيادة انداريه دوريا، بعد طلب هذا الأخير ذلك، وكان بين هذا السلطان وبين فرانسوا الأول[6]- سلطان فرنسا- عداوة مستمرة، فبعث إليه سلطان إسبانيا بكتاب مضمنه:" أنت تعلم ما لحقني من هذا الرجل التركي، ولا بد أن يتفرغ لك، فيلحقك منه مثل ما لحقني، والأمر أن نتفق عليه "[7]، فلما وصله هذا الكتاب، وجّه إليه عشرين سفينة

---

[1]- **مليانة**: مدينة كبيرة وقديمة، تقع في قمة جبل زكار الغربي المكسو بأشجار الجوز، محاطة بأسوار عالية، بها دور للصناعة، يكاد يكون سكانها كلهم صناعا ، نساجين أو خراطين. ينظر الحسن الوزان – وصف إفريقيا- ج: 02 – ص: 34.

[2] - أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة... – ص: 278.

[3] - مثل صالح رايس، شعبان رايس، حسن اغا...

[4] - خبر قدوم عروج .. – ظ و: 29.

[5] - المصدر السابق – ظ و: 29.

[6]- **فرانسوا الأول**:(900هـ - 954هـ) (1494م –1547) مل فرنسا في 921هـ-1515، حارب شارل كان، وأقر الفرنسية لغة البلاد الرسمية عوضا عن اللاتينية، على عهده أبرمت معاهدة الامتياز بينه وبين السلطان سليمان القانوني سنة 942هـ- 1535م ينظر- اندري كلو – سليمان القانوني- ص:13، 19. وينظر – نعيمة بوحمشوش – مساهمة البحرية الجزائرية... – ص: 14.

[7] - خبر قدوم عروج .. وخير الدين – ص و: 30.

مجهزة بجميع ما تحتاجه من الجهاز ومعها عسكر مقاتلة، فضمها أندارية دورية إلى أسطوله، وأمره الملك بترصد خير الدين.

ولما سمع بذلك خير الدين، بادر إلى تجهيز خمسة وثلاثين سفينة، ثمّ سافر إلى سواحل اسبانيا، فاستولى على عدّة سفن للعدو، وخرّب الكثير منها، وهو في أثناء ذلك، يتوقع أن يصادف أندارية دوريه، ولكنه لم يلقاه، فرجع إلى الجزائر، وترك سفنه على ما هي، كأنها تترقب السفر مرة أخرى[1].

هذه الأحداث وقعت في سنة 937هـ- 1530م[2]، وقد أكدها صاحب تحفة الزائر حين قال " وسار في البحر مترصدا لأندريه في طريقه، فلم يصادفه، واستمر غازيا على الثغور، فأثخن فيها، وخرب حصونا كثيرة، وامتلأت مراكبه، وأيدي جنوده من المغانم، وانقلب راجعا"[3] .

3 – في سنة 940هـ- 1533م:

بعدما أدب خير الدين سلطان تلمسان – مولاي عبد الله - بعد محاولته التمرد الثانية في سنة 940هـ- 1533م، أرسل بعض سفنه إلى بلاد النصارى، في الوقت الذي استولى فيه السلطان سليمان على أنكروس[4]، ولما وصلت هذه السفن إلى سواحل سواحل اسبانيا، بالقرب من جزيرة قوبوقلوش، وأرسوا بإحدى مراسها[5]، اشتكى أهل هذه البلاد إلى سلطانهم من هجمات جند خير الدين، فأرسل لهم خمسة عشر سفينة لحراسة سواحلهم، ولما وصلت هذه القوات إلى مكان تواجد سفن خير الدين، التي كانت بدورها مستعدّة للقتال، ومن أجل الاستيلاء على سفن النصارى، فكّر المسلمون في حيلة، حيث خرجوا من مكانهم موهمين عدوهم أنهم فرّوا منهم، فطمع هؤلاء في الاستيلاء عليهم، ولاحقوهم في أثرهم، حتى انعطفت عليهم سفن خير الدين، واستولوا عليهم، ورجعوا بهم إلى الجزائر[6].

---

[1] - المصدر نفسه – ص و: 30.
[2] - أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة...– ص: 219.
[3] - محمد بن عبد القادر الجزائري – تحفة الزائر... – ص: 99.
[4]- **أنكروس**: وهي المجر. ينظر في ملحق – غزوات عروج وخير الدين – ص: 23.
[5] - ينظر - سامح البر – الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية– ص: 98.
[6] - خبر قدوم عروج وخير الدين – ص و:35.

4- جزر الباليار:

بعد أن انهزم خير الدين في تونس، استقر بصفة مؤقتة بمدينة الجزائر، نظرا للالتزامات التي تفرضها عليه مهمته الجديدة، كقائد عام للأسطول الإسلامي العثماني[1]، وكان عليه أن يشعر شارل كان بوجوده، وأن يردّ على ضربة تونس[2]، وأن يتحدى الأسبان في عقر دارهم[3]، فاختار خير الدين ورجاله هدفا لضربتهم الانتقامية مدينة ماهون عاصمة جزائر الباليار، فسافروا إليها، في صيف من سنة 942هـ- 1535م، وكانت هناك بعض المراسي، يقال لها برط ماعون[4]، تجمع فيها سائر سفن النصارى، لأنها مرسى مأمونة كبيرة المساحة، تتسع نحو الخمسمائة من السفن، وباب المرسى صغير، لا يسع في الدخول إلا ثلاثة أجفان.

ولما ورد خير الدين على هذه المرسى، كان في خارجها جفنان للبردفيز[5]، فظهرت لهما سفن خير الدين، فنصبا شراعيهما، وأخذا في الفرار فلم يطلبهما خير الدين، وأمر جماعته أن ينزعوا ما على رؤوسهم، تمويها على النصارى بذلك، ودخل إلى تلك المراسي، فأرسى بها، واعتقد أهلها أنه انداريه، فنزلوا إلى ساحل البحر، لأجل البيع والشراء مع أهل السفن، وكان خير الدين قد أنزل عسكره، وأمكنهم في بعض المواضع هنالك، وفي الوقت الذي كان فيه النصارى يتشوقون إلى نزول أهل المراكب إليهم، هجم عليهم عسكر خير الدين من خلفهم، وأوثقوهم شدّا، وحملوهم إلى السفن، ولما رأى الجفنان اللذان هربا من خير الدين أنه دخل تلك المراسي، التي لا تدخلها إلا مراكب النصارى، اعتقدوا أنّه انداريه، فدخلا في أثره وأرسيا بقرب سفن خير الدين، فلما رآهما، أرسل إليهما بعض أعلاجه من البردفيز، ولم يسعهما إلاّ المجيء بجفنيهما، والدخول في ربقة أسره، بدون قتال، ووجد خير الدين في هذين الجفنين مائة وثمانين من نصارى البردفيز، وعددا من أسرى الترك الذين استولى

[1] - ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة...- ص: 241.
[2] - ينظر- رأفت الشيخ – تاريخ العرب الحديث- ص: 384.
[3] - ينظر- اندري كلو – غازي الغزاة سليمان القانوني- ص: 135.
[4] - **برط ماعون**: ميناء بميورقة
[5] - **البردفيز**: أهالي البرتغال

عليهم شارل كان بتونس، حيث وجّه بهم هذا الأخير هدية إلى سلطان البردفيز، يفخر عليه بذلك، فكان خلاصهم على أيدي خير الدين[1].

وكان بتلك النواحي من ساحل البحر حصن منيعا[2] للنصارى، أنزل فيه خير الدين عسكره إلى البر، وأنزل معهم المدافع، ونصّبها عليه، وشرع في قتال أهله، فحاصروه أربعة أيّام، وألحوا عليه بالقتال والتضييق، وفي اليوم الخامس، وصلهم المدد من النصارى، وكان عدده ستة آلاف نصرانيا، فلقيهم المسلمون قبل أن يصلوا إلى الحصن، وقاتلوهم قتالا عظيما، قتل خلاله قائدهم، فانهزموا أمام المسلمين، وشاهد أهل الحصن فرار المدد الذي أتاهم لنصرتهم، فوجلت قلوبهم، ولم يستطيعوا الدفاع عن حصنهم، فدخله خير الدين، وجد فيه خمسة آلاف وسبعمائة نصارانيا، ورجع إلى الجزائر، فدخلها في سادس يوم من إقلاعه عن هذا الحصن[3].

هكذا كان رد فعل خير الدين على احتلال شارل كان لتونس[4]، فتحداه، وتحدى كامل القوات الأسبانية، ليبيّن أن قوات الدولة العثمانية مازالت كاملة الاقتدار، وأنّ خير الدين رجل قليل الكلل، ذو جرأة شديدة[5].

لقد افسد خير الدين بفعله هذا فرحة النصارى، الذين كانوا يحتفلون بانتصار ملكهم عليه في تونس[6]، كما استحوذ على كل ما في هذه الجزيرة، من ثروات وخيرات[7]، وعاد بها إلى مدينة الجزائر مرفوقا بستة ألاف أسير[8].

"وهكذا لم تحقق حملة شارلكان سوى جزء يسير من أهدافها"[9] المتمثلة في القضاء على خير الدين وعسكره، ليتسنى له احتلال المغرب الإسلامي كله.

---

[1] - ينظر – خبر قدوم عروج ....- ص و: 43.
[2]- هذا الحصن يسمى بحصن الأرون، بجزيرة ميورقة. ينظر- الزهري – كتاب الجغرافيا – ص: 129.
[3] - خبر قدوم عروج... – ص و، و: 43 - 44.
[4] - ينظر- رأفت الشيخ – تاريخ العرب الحديث- ص: 384.
[5] - ينظر- اندري كلو – غازي الغزاة سليمان القانوني- ص: 135.
[6] - ينظر- جون وولف – الجزائر وأوربا – ص: 50.
[7] - ينظر – أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة بين الجزائر واسبانيا – ص: 242.
[8] - ينظر – صلاح العقاد – تاريخ العرب الحديث والمعاصر – ص: 22.
[9] - ينظر – صلاح العقاد – المرجع نفسه- ص: 22.

ب- أعماله في ايطاليا: لم تسلم ايطاليا من غزوات خير الدين، فقد قصدها عدة مرات.

1 – في سنة 938هـ 1531م:

بعدما هاجمت قوات خيرالدين سواحل إسبانيا، طلب انداريه دوريه من ملكه أن يكلّفه بمحاربة خيرالدين، فكان أوّل عمل قام به هو دخوله مدينة شرشال سنة 938هـ 1531م، واشتباكه مع أهلها – كما تقدم سابقا –، ولما سمع خيرالدين بذلك، سافر إلى سواحل النصارى، حيث أرسى بجزيرة[1] مقابلة لمدينة بلوم[2]، " وفي أثناء إرسائه على هذه الجزيرة ظهرت له سفينة صغيرة، فسارعت إليها إحدى سفن خير الدين بالمجاديف، فاستولت عليها، وأتيت بها إلى خير الدين فوجدها مملوءة بجيش الروم"[3].

وكان بقرب هذه الجزيرة التي أرسى عليها خيرالدين جزيرة[4] أخرى فيها سبعون من النصارى فتوجهوا، إلى خيرالدين بهدية احتوت على ثلاثين طاسا من الفضة وعسل وسمن ودجاج والطيور التي تعرف بالسمندل، وغيرذلك من اللطائف، فقبل منهم الطعام، ورد لهم الباقي.

ثمّ أراد دخول مدينة بلوم، فثنى عزمه على حصارها، وقال لعسكره: " إن ذهبنا إليها ولم نفتحها، تبقى لنا معرة عند النصارى، فتربص بها إلى أن يهيء الله لنا أسباب فتحها في غير هذه المرة، ثم أنّ خيرالدين أقلع عن تلك المرسى، فرده الريح إليها مرة أخرى"[5].

---

[1] - يذكر المخطوط في صدر الورقة رقم: 31 " أنّ خير الدين أرسى على بعض الجزر من أحواز بلاد الإفرنج، وكانت تلك الجزيرة خالية"، وهي **جزيرة بانوسة**: وهي جزيرة خلية غير معمورة .ينظر- الإدريسي – كتاب نزهة المشتاق – المجلد: 02- ص:585.

[2] - **بلوم**: مدينة عظيمة في جزيرة صقلية، بها كثرة المياه العذبة . ينظر- ياقوت الحموي – معجم البلدان- ج: 01 – ص: 483.

[3] - خبر قدوم عروج وخيرالدين – ص و:31.

[4] - هذه الجزيرة تسمى **بجزيرة قبرة**: وهي جزيرة معمورة، وسكانها قوم من أهل ملف بالمواشي ولها مدينة متوسطة، وفي وسط المدينة فوارة ماء. ينظر – الإدريسي –كتاب نزهة المشتاق - المجلد: 02 – ص: 585.

[5] - خبر قدوم عروج وخير الدين – ظ و:31.

وبينما هو في هذه المرسى جاءه جفنان محملان بالبارود والمؤونة، كانا موجهين إلى انداريه دوريه بجنوة، "حتى ظهر لخير الدين أحدهما على بعد، فبعث إليه أحد أجفانه لينظره، فرجع إليه، وأخبره أنهما جفنان، فبعث إليهما من أجفانه حتى استولى عليهما، فلما وصلوا بهما إلى خير الدين، فرح بذلك وحمد الله على ما هيأ له"[1].

وفي أثناء وجوده في تلك المراسي، ظهرت سفينة كبيرة في البحر، فأمر خيرالدين جيشه بملاحقتها، ولما قربوا منها، جعلوا يرمون عليها، حتى أشرفت بذلك على العطب، ولم تزل سفن خير الدين في قتال هذا المركب، حتى استولوا عليه، وأدخلوه إلى المرسى، فرفعوا ما فيه من المتاع، وأمر خيرالدين بإحراقه، وعندما أخذوا في قتاله، لم يملك سنان رئيس نفسه، لفرط شجاعته وإقدامه، أصيب في إحدى عينيه، ثمّ خرج خيرالدين من هذا المرسى في طلب أنداريه دوريه، ولم يلقاه، وبعد هذا العمل، رجع إلى مدينة الجزائر[2].

وتكاد تتفق جل المصادر[3]والمراجع[4] حول هذه الأحداث التي كان البحر المتوسط مسرحا لها، أن خيرالدين تابع اندوريا، ولكنه لم يلحق به، كما استطاع في هذه الغزوة أن يجمع الكثير من الغنائم..

2 - سفر خير الدين إلى اسطنبول:

ولما تمّ لخيرالدين القضاء على محاولة تمرد الأسرى، وأمّن على الجزائر من هجمات العدو، وتلبية لدعوة السلطان سليمان، غادر خيرالدين الجزائر متجها إلى اسطنبول سنة 940هـ- 1533م، تاركا حسن أغا نائبا عنه في حكم الجزائر خلال غيابه، وكان في طريقه لا يلقى مركبا، إلاّ واستولى عليه، فتحصّل بذلك على غنائم كثيرة، حتى وصل إلى ساحل جنوة، فعاث فيها، وخرّبها، واستولى على ثمانية عشر

[1] - المصدر نفسه – ص و: 32..
[2] - المصدر السابق – ص و: 32.
[3] - منها: محمد بن عبدالقادر الجزائري – تحفة الزائر – ص: 99.
[4] - أحمد فؤاد متولي – تاريخ الدولة العثمانية – ص: 256.

سفينة في نواحي صقلية[1]، فأخذ الأسرى منها، وأمر بحرق هذه السفن، ثمّ سأل عن اندريه دوريا، فأخبروه أنّه في بلدة موره[2]، في أربعة وعشرين غلياطة، ثمّ غادر خيرالدين صقلية، متجها إلى ناحية بروازن، مترصدا اندريه دوريا، فلما وصلها، أخبروه أهلها أنّه قد فرّ منه، وهنا أرسل خيرالدين خمسة عشر سفينة إلى الجزائر، وواصل سفره إلى اسطنبول في تسعة عشر سفينة، ولم يلق اندريه دوريا[3]، واستمر خيرالدين مسافرا إلى أن دخل وارين[4] فصادف هنالك عمارة السلطان، فتوجها معا إلى قلعة قورون[5]، ومنها إلى اسطنبول[6].

ويمكن ملاحظة أنّ المخطوط لم يذكر سنة وقوع هذه الأحداث، التي كانت سنة 940هـ- 1533م[7]، كما أنه لم يذكر اسم من تركه خيرالدين نائبا عنه في تسيير شؤون الجزائر، خلافا مع المصادر الأخرى التي ذكرت اسم حسن أغا مثلما جاء في تحفة الزائر:" فاستخلف مستشاره حسن أغا على الجزائر... وتوجه في أربعين مركبا، ومر على سواحل ايطاليا وسردينية[8] وجنوة، فعاث فيها واستمر في مروره يخرب الحصون، ويستلب الأموال والأنفس، إلى أن دخل العاصمة العثمانية"[9]. كما أنه لم يذكر أنّ خيرالدين لما وصل إلى قورون، أنقذ الأسرى المسلمين الموجودين فيها[10].

---

[1] - **صقلية**: جزيرة في البحر المتوسط، مقابلة لتونس، بها مدن كثيرة، أرضها خصبة بها كثرة المواشي والمعادن مثل الفضة والنحاس والذهب. ينظر- ياقوت الحموي – معجم البلدان – ج:03 – ص: 416.

[2] - **مورة**: وتسمى بلوبوناز، شبه جزيرة باليونان، يحيط بها البحر ألف ميل، وليس لها منفذ إلى البر، إلا فم ضيق قدره تسعة أميال، وفي هذه شبه الجزيرة ثلاثة عشر مدينة، منها: أثينا...- ينظر- أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي – نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – المجلد: 02- عالم الكتب - بيروت – ط: 01 – 1409هـ/ 1989م- ص:635.

[3] - خبر قدوم عروج وخيرالدين- ص و، ظ و: 38، 38..

[4] - **وارين**: نافارين وهي بلدة يونانية، على ضفة البحر الأيوني. ينظر- ملحق – غزوات عروج وخير الدين – ص: 22.

[5] - **قورون**: مدينة بمورة على نحر البحر، تقارب المضيق بينها وبينه ثلاثون ميلا، وهي كبيرة عامرة. ينظر- الإدريسي – نزهة المشتاق- المجلد: 02- ص: 637.

[6] - خبر قدوم عروج ... – ظ و: 39.

[7] - ينظر – اندري كلو – غازي الغزاة سليمان القانوني– ص:133.

[8] - **سردينية**: سردا نية: جزيرة من جزر الروم، بها مرسى كبير، وحصون وأسواق كثيرة. ينظر – ابن بطوطة – رحلة ابن بطوطة – تراث العرب- دار بيروت/ دار النفائس – بيروت – لبنان – ط: 01 – 1418هـ / 1997م – ص: 656.

[9] - محمد بن عبد القادر الجزائري – تحفة الزائر – ص: 99.

[10] - ينظر – سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية - ص: 103.

3– وصول خير الدين إلى اسطنبول:

لما وصل خير الدين إلى اسطنبول في نهاية سنة 940هـ- 1533م[1]، نظّم أسطولا قويا[2]، ثمّ أمره السلطان سليمان بالسفر، فغادر العاصمة العثمانية على متن أربعة وثمانون سفينة، إلى أن أرسى على قلعة من بعض قلع الروم، يقال لها أرتيلة[3]، أرتيلة[3]، فشرع في قتال أهلها، والتضييق عليهم، فلم يكن للروم بدفاعه طاقة، ففروا عن قلعتهم، واستولى جند خيرالدين على جميع ما فيها[4].

ثم أن خير الدين أقلع عن هذه المدينة، فانتهى به السفر إلى جون هنالك، وقضى فيه ليلة، وفي الصباح غادر هذا المكان مسافرا، حتى وصل إلى قلعة من قلاع الروم، تسمى " قلعة سانت اوستدو (SENTUSIDO) "[5]، فشرع في قتال أهلها برا وبحرا، حيث استولى على أطرافها، والتجأ الروم إلى داخلها، واشتدّ القتال بينهم وبين المسلمين، واستشهد عدد من جيش خيرالدين ، ولكن المسلمين لم يستسلموا في هذا القتال، بل واصلوا فيه حتى فتحوها، فدخلوها بسيوفهم عنوة، واستولوا على جميع من فيها من الروم، وكان عددهم سبعة ألاف وثمانمائة، فأمر خيرالدين بإحراق القلعة.

ولما كان صباح تلك الليلة أقلع عن ذلك الموضع مسافرا إلى ناحية جنوة، فوصل إلى " قلعة جيترارو (GITRARO)"[6]، وكان بمرسى تلك القلعة ثمانية عشر سفينة، فاستولى عليها، وأمر بإحراقها وإحراق القلعة، وفرّ أهلها إلى جبل منيع، فتحصنوا به، وعاث خيرالدين في تلك البلاد تحريقا وتخريبا.

---

[1]- ينظر- حسن مؤنس – أطلس تاريخ الإسلام – مصر الزهراء للإعلام العربي – 1407هـ / 1987م – ط: 01 – ص: 359.

[2] - ينظر – اندري كلو – غازي الغزاة سليمان القانوني – ص: 133.

[3] - **أرتيلة**: ريجه (RIGO): وهي مدينة ايطالية، في مقاطعة كالابريا على مضيق مسينا، بها نحو 225 ألف نسمة. ينظر – مسعود الخوندي -الموسوعة التاريخية والجغرافية – المجلد: 04 – الشركة العالمية – لبنان – 2004- ص:321. وينظر سامح التر – المرجع السابق – ص:110.

[4] - خبر قدوم عروج وخيرالدين – ظ و: 39.

[5] - سامح التر - المرجع السابق – ص: 110.

[6] - ينظر – سامح التر – المرجع نفسه – ص: 110.

ثم ذهب إلى ناحية نابل (نابولي) فاستولى على إحدى القلع هنالك، فكان من جملة الأسرى الذين استولى عليهم أحد عشر أسيرا، ثم سافر إلى ناحية سردانية، فعاث أيضا في سواحلها تحريقا وتخريبا[1].

كانت هذه الحملة التي قام بها خيرالدين في هذه المناطق، أول عمل يقوم به على رأس قيادة الأسطول العثماني، عقب وصوله إلى اسطنبول، وما يمكن ملاحظته هو أن بعض المصادر أشارت إلى هذه الأحداث، ولم تفصّل فيها، على غرار أبي عبدالله الأعرج الذي ذكر أنّ خيرالدين " طرد الأسطول الإسباني من النواحي الشرقية... مثل صقلية، وسردانية، وجنوة، واقتحم جزيرة مورة، وربط أمرها، ثمّ رجع إلى افريقية "[2]، والإشارة نفسها في كتاب تحفة الزائر حيث ورد فيه أن "خيرالدين كان يترصد اندريه في بحر الأرخبيل، ويذيقه نكال الحرب إلى أن أعجزه، ولحق بثغور لإسبانيا، وخلى البحر لخيرالدين، فقصد جزائر المورة، ففتحها، ورتب أمورها، ثم سار إلى إفريقية".[3]

ومن الملاحظات أيضا أنّ المخطوط لم يذكر اسم القلاع التي داهمها، كما أنه هناك مناطق أخرى - ذكرها سامح البر في كتابه – دخلها خير الدين، واستولى عليها، منها:قلاع اسبرلونجا (SPERLONGA)، التي هاجمها خيرالدين، ودمّرها بعد أسر مهنها عشرة ألاف شخص، وكذا مدينة فوندي (FUND)، هدّم تحصيناتها، ونهّبها[4].

ج- اليونان: لليونان جزر عديدة خاصة في البحر الإيجي، قريبة من البلاد التركية، مما جعلها هدفا للعثمانيين قصد تأمين بلادهم من هجمات الأعداء.

1 – البحر الأيوني[5]:

[1] - خبر قدوم عروج... – ظ و: 39.
[2] - أبو عبدالله العرج – تاريخ الجزائر – ص: 202.
[3] - محمد بن عبدالقادر – تحفة الزائر... – ص: 99.
[4] - سامح التر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ص: 110.
[5]- البحر الأيوني: يتفرع من بحر المتوسط غرب اليونان، فيه جزر تسمى به، منها كورفو لوكاس، كافالونيا وزانتي شماله خليج تارنتو وقناة اوترانتو. ينظر- الموسوعة العربية العالمية المجلد:03- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – الرياض - ط: 02– ص: 312.

بعد الانتصارات التي أحرزها خيرالدين في جزر الباليار، رجع إلى الجزائر، ومنها سافر إلى اسطنبول، " للمرة الثانية في ديسمبر سنة 1535م " [1] الموافق لسنة 942هـ، ولما وصلها، أمره السلطان بالتوجه إلى ناحية بولية[2]، فسافر إليها في ثلاثين مركبا، حتى بلغ أحد الحصون هنالك، فأخذ في قتال أهله حتى فتحه، وأخذ من فيه من الأسرى، وكان فصل الشتاء قريبا، فرجع إلى اسطنبول[3] .

وفي شهر ماي من سنة 1537م الموافق لأول ذي الحجة سنة 943هـ[4]، خرج خيرالدين رفقة لطفي[5] القبطان باشا إلى ناحية أولونية[6]، وكان السلطان عازما على غزوها بنفسه برا، فسافر قبطان باشا وخير الدين، فأرسيا على أولونية، وأما السلطان فأنه نهض إليها برا بجملة عساكره، وعاث في أطرافها ونواحيها، حتى استولى عليها الخراب، وصارت أثرا بعد.

ثم أنهما سافرا إلى ناحية الكرفاز[7]، فعاثا في أطرافه تخريبا وتحريقا، ثمّ رجع لطف باشا إلى اسطنبول، واستمر خير الدين في سفره على متن ستين سفينة، حتى وصل إلى ناحية ياروزا[8]، وكانت بها قلعة محكمة البناء، فانزل العسكر إلى البر، وأخذوا في حصارها ففتحوها في اليوم الرابع، وأسروا أربعة ألاف وثمانمائة أسيرا منهم، ثم

---

[1] - أحمد توفيق المدني - حرب الثلاثمائة...- ص: 571.

[2] - **بولية**: مدينة في جنوب ايطاليا . ينظر في التعليق- غزوات عروج وخير الدين – نشر: نور الدين عبد القادر- ص: 05.

[3] - خبر قدوم عروج وخيرالدين – ص و: 45.

[4] - جون وولف – الجزائر وأوربا – ص: 52.
- أحمد فؤاد متولي – تاريخ الدولة العثمانية – ص: 260.

[5] - **لطفي باشا**: أحد القادة العثمانيين، عيّنه السلطان سليمان على بلاد الألبان سنة 944هـ خلفا أياس باشا الذي توفي متأثرا بمرض الطاعون، وبعد مدة وجيزة عزله السلطان عن هذا المنصب.- ينظر – ابراهيم بك حليم- الدولة العثمانية العلية – عالم الكتب –بيروت – ط: 01 – 422هـ / 2002م - ص: 125.

[6] - **أولونية**: فالونة، فلوري، فيجوز وهي مدينة ساحلية على خليج فلورزة بساحل ألبانيا. ينظر إلى الخريطة – الموسوعة العربية العالمية – الجلد: 02 – ص: 492 ، و المجلد: 27 – ص: 399. وينظر – محمود عصام الميداني – الأطلس الجغرافي الحديث، الوطن العربي والعالم – دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة – دمشق – 1997 – ص: 110.

[7] - **الكرفاز**: وتسمى كورفو، وهي جزيرة في أرخبيل اليونان، وهي واحدة من الجزر الأيونية، المتواجدة في البحر الأيوني، المكونة للمنطقة السابعة لليونان، يبلغ عدد سكان هذه المنطقة 250 ألف نسمة.- ينظر – مسعود الخوندي – الموسوعة التاريخية والجغرافية – المجلد: 20 – ص: 573. .

[8] - **باورزا**: مدينة ساحلية بألبانيا ، ينظر في التعليق- غزوات عروج وخير الدين – نشر: عبد القادر نور الدين- ص: 24

أنه نازل قلعة أخرى يقال لها مرتاد[1]، فاستولى عليها، وكان عدة أسراها ألفين ومائتين، وأحرق أجفانا كانت بها، ثم أنه نازل جزيرة يقال لها خزانة الغنائم[2]، فبقي في قتالها أربعة عشر يوما، حتى فتحوها، واستولوا أيضا على أحد عشر ألفا من النصارى.

وكان في تلك النواحي جزيرة [3]يحكم صاحبها ستة جزر، وكانت نية خيرالدين خيرالدين أن ينزل العسكر بها، فأخلاها النصارى، وذهبوا، فراسلهم خيرالدين أن يرجعوا إلى جزيرتهم، ويذعنوا بإعطاء الجزية إلى السلطان، فرضي بذلك حاكم الجزيرة، وأرسل بهدية إلى خيرالدين، وتوافقا على بذل خمسة آلاف دينار كل سنة، كذلك الست جزر التي تحت حكمه، تعطي نفس مقدار الجزية، فأبى أهلها ذلك، فنازلهم خير الدين، واستولى على قلاعهم، ووجد في تلك المراسي سفنا للجنويز، مملوءة بالسلع المختلفة، فأخذها، وأرسلها إلى اسطنبول، وبقي مدة في تلك النواحي، ثم عاد إلى اسطنبول مرفوقا بثمانية عشرة ألف أسير[4].

وما يلاحظ في هذه الأحداث، هو الاختلاف الحاصل بين المخطوط وبين بعض المراجع[5] حول تسمية المناطق التي وقعت فيها هذه الأحداث، فتذكر هذه الأخيرة: جزيرة سيروس، باتموس، إيوس، استيبلايا، إجين، باروس، انتيباروس، ناكسوس[6].

2 – البحر الإيجي[7]:

---

[1] - **قلعة مرتاد**: موجودة في مدينة باورزا.

[2] - جزيرة **خزانة الغنائم**: لم يعقر الباحث على هذا الاسم، ولكن توجد هناك جزيرة الغنم، فيها الغنم كثيرة، وغير صالحة للأكل، لأن لحومها مرة،....- محمد بن عبد المنعم الحميري - الروض المعطار- ص: 61.

[3] - لم أتمكن من معرفة هذه الجزيرة، وكل ما عرفته عنها ، أنها جزيرة في البحر الأيوني.ينظر النسخة المترجمة إلى الفرنسية – الجزء:02 – ص: 19.

[4] - خبر قدوم عروج ... – ص و، ص و: 45 - 46 .

[5]- منها:انري كلو – غازي الغزاة سليمان القانوني – ص: 141.
أحمد فؤاد متولي – تاريخ الدولة العثمانية – ص: 261.

[6] - هذه الجزر موجودة في البحر الإيجي، وتسمى بجزر سيكلاد، وتبلغ مساحتها مجموعة 2572كم2 – ويبلغ عدد سكانها نحو 115 ألف نسمة. ينظر - مسعود الخوندي – الموسوعة التاريخي والجغرافية – المجلد 04- ص: 126.

[7] - **البحر الإيجي**: جزء من البحر المتوسط، يقع بين اليونان البرية، وبين جزيرة كريت، يصب فيه نهر ماريكا ونهر مندرسين – ينظر- مسعود الخوندي- الموسوعة التاريخية والجغرافية – المجلد: 04 – ص: 126.

وبعدما سجّل خير الدين العديد من الانتصارات في البحر الأيوني، عاد محملا بالغنائم الكثيرة إلى اسطنبول، ثمّ خرج مرة أخرى في سنة 946هـ- 1539م[1]، فسافر إلى يولية، وأحسن إلى أهلها، ثم سافر إلى قرب أشكانوس[2]، وأنزل المدافع في البر، فلما سمع أهله بقدومه وإنزاله المدافع، تحصنوا بحصنهم، فنازل خير الدين حصنهم، ولما استولى عليه، وجد فيه من النصارى ثلاثة آلاف وسبعمائة.

ثم أن صالح رايس وصل إلى ناحية اشكانوس، فلقي بها خير الدين وكان لصالح رايس عشرون سفينة، فأصبح عدد السفن ستين، ثمّ وجّه إلى أكربوز بسبعة عشر سفينة، مملوءة بعسكره، فشرعوا في قتال الحصن، وكان أهله قد استعدوا له، فتعذر عليهم فتحه، فسمع بذلك خير الدين، فتوجه إليه بنفسه، فلما علم أهل الحصن بقدومه، دخل الرعب في قلوبهم، وطلبوا منه الأمان، فبذل لهم بشرط أن يبذلوا للسلطان مائة غلام، ومائة جارية، وخمسة آلاف دينار لأهل الأجفان التي حاربته أولا، فلم يزالوا يتضرعون إليه إلى أن قرر عليهم خمسين غلاما، ومثلها جواري، وثلاثة آلاف دينار، فرضي بذلك.

وبعد ذلك سافر إلى جزيرة استنديك[3]، وكان بها أخلاط من الروم وأهل القرق[4]، القرق[4]، وكان في هذه الجزيرة صنف يقال لهم فرنك[5]، وكان الروم بهذه الجزيرة يؤدون الجزية إلى السلطان، فطلبوا منه الأمان بسبب ذلك، فقال: لهم لا أعطيكم الأمان حتى تعطوني الفرنك الذين عندكم في هذه الجزيرة، فلما علموا أنهم إن لم يمكنوه منهم، هلكوا بسببهم، ودفعوهم إليه، عند ذلك أعطى الأمان للروم، وقرر عليهم الجزية في كل سنة عشر مائة دينار.

---

[1] - هايدو – تاريخ ملوك الجزائر – تقديم : عبد الرحمان رابحي – ص:64.

[2] - **أشكانوس**: حسب النسخة المترجمة إلى الفرنسية هي مدينة فيينا ، عاصمة المجر. ينظر- النسخة المترجمة – الجزء: 02 – ص:17.

[3] - **استنديك**: وتسمى ديلوس، وهي جزيرة يونانية في بحر ايجة، وهي واحدة من 24 جزيرة المشكلة لما يسمى بجزر سيكلاد. ينظر – الموسوعة التاريخية والجغرافية – المجلد : 04 – ص: 126.

[4] - أهل القرقوهم اليونانيون.

[5] - **فرنك**: وهم الإفرنج. ينظر في التعليق - غزوات عروج وخير الدين – نشر: عبد القادر تور الدين- ص: 24.

ثم أنه سافر إلى جزيرة يقال لها أسيلة[1]، فأرسى بها، فلما سمع به حاكمها من النصارى حمل إليه عدة من أسرى المسلمين كانوا عنده، وقرر عليه ألف دينار.

ثم أنه سافر إلى جزيرة كريت[2]، وكان بها ثلاثة قلع للنصارى، وكثير من قراهم، فاستولى على تلك القلع والقرى جميعا، وكانت عدة الأسرى من هذه الجزيرة ما ينيف على خمسة عشر ألفا.

ثم أنه سافر جزيرة بقربها يقال لها سيدس[3]، فصالحه أهلها على ألف دينار يؤدونها كل سنة، فكانت جملة الجزائر التي استولى عليها خير الدين في هذه السفرة خمسا وعشرين جزيرة، ضرب على اثني عشر بها الجزية وخرب ثلاثة عشر منها[4].

لقد وقعت هذه الأحداث عقب انهزام التحالف الصليبي المتكون من البنادقة، والإسبانيين ورجال الكنيسة أمام خيرالدين بموقعة بريفيزا في أواخر شهر سبتمبر سنة 1538م الموافق لسنة 946هـ.

وما يمكن ملاحظته هو أنّ المخطوط قدم هذه الوقائع بشيء من التفصيل عكس المصادر الأخرى، التي ذكرتها بإيجاز، فهايدو مثلا لم يذكر كل الجزر التي استولى عليها خيرالدين في حملته هذه، واكتف بذكر اسم كاستالوفو(CASTELNOVO)، كاترو (CATTARO)، مالفوازي (MALVOISIE) ونابولي دو رومانيا (NAPOLES DE Rmani)[5] . وهناك من المراجع[6] ما ذكرت هذه الحملة، بنفس بنفس الإيجاز مع ذكر بعض من هذه الوقائع، ولكن بأسماء مختلفة عن التي ذكرها المخطوط أو هايدو، حيث ورد الأسماء التالية: اندرس، سيرفوس، سيبكاوس،

---

[1] - **أسيلة**: الظاهر أنها جزيرة يونانية في البحر المتوسط، قرب جزيرة كريت، وهي إحدى جزر سيكلاد اليونانية، ينظر- وليام لانجر – موسوعة التاريخ والجغرافيا – ترجمة: محمد مصطفى زيادة – ج: 04 – مكتبة النهضة المصرية – مصر – 1963 – ص: 124.

[2] - **كريت**:أو كريد، جزيرة يونانية، بالبحر المتوسط، سماها العرب: أقريطش، وهي من أكبر الجزر اليونانية، وهي المنطقة الأوروبية الأبعد إلى الجنوب، مساحتها 8259كم2، ويبلغ عدد سكانها نحو 850ألف نسمة،أهم مدنها : هيراكليون، وتعني القلعة الكبيرة ، هي عاصمة الجزيرة، وتعتبر المركز التجاري والاقتصادي لها، وكذا مدينة: خانية، ومدينة ثيمنون،....هذه الجزيرة أراضيها خصبة ذات بساتين وأشجار. ينظر- محمد بن عبد المنعم الحموي - الروض المعطار- ص: 51. وينظر – مسعود الخوندي- الموسوعة التاريخية والجغرافية- المجلد: 20- ص: 755. .

[3] - هذه الجزيرة تقع شرق جزيرة كريت. ينظر – ابو بكر الزهري – كتاب الجغرافيا – ص: 132.

[4] - خبر قدوم عروج ... – ص و، ظ و:46 - 46..

[5] - ينظر- هايدو – تاريخ ملوك مدينة الجزائر – تقديم : عبدالرحمان رابحي – ص: 64.

[6] - اندري كلو – غازي الغزاة سليمان القانوني – ص: 141.

سكيروس، كما أكّد هذه المراجع أن عدد الجزر التي أخضعها خيرالدين تحت حكم الدولة العثمانية هو خمسة وعشرون جزيرة.

3 - ثاروزاء[1]:

لقد تجمعت قوات النصارى من الإسبانيين والبابا والبنادقة[2] بالكرفاز (جزيرة كورفو) سنة 945هـ- 1538[3]م، لينطلقوا منها إلى ثاروزاء (بروان) لاستيلاء عليها، فسمع خير الدين بذلك، ولما بعث إليها عدّة سفن لحراستها، علم بوجود قوات النصارى بالكرفاز، كما علمت قوات النصارى بقدوم خير الدين إلى ثاروزاء لحمايتها من هجوماتهم، فتردد رأيهم على غزوها أو الرجوع إلى بلادهم، فاستقروا على رأيهم الأول، وسافروا إلى جون قريب من المدينة التي تتواجد بها قوات خير الدين.

وفي الوقت الذي علم فيه خيرالدين بقدوم النصارى على هذا الجون، أمر بإنزال المدافع إلى البر، ونصّبها وراء سفنه، لتردّ عنها سفن النصارى من القرب منها، إن قصدتها، وكان أصحاب[4] خير الدين لما رأوا كثرة عدد سفن العدو، دهشوا لذلك، ورأوا أن يحملوا المدافع إلى المكان الذي أرسى به النصارى، ليمنعوهم من النزول، وتقدموا بهذه الفكرة إلى خيرالدين، فوجدوه قد أنزل المدافع إلى البر لحماية سفنه، ويكون الرمي على النصارى متواصلا برا وبحرا، فاستأذنه أصحابه في حمل هذه المدافع إلى ذلك الجون، فلم يعجبه رأيهم، لعدم وجود به مكان للإرساء، كما تبقى السفن في ثاورزاء خالية من العسكر، فيسهل للنصارى الاستيلاء عليها، كما بيّن لهم صلاح رأيه في البقاء في مكان تواجده، أمّا أصحاب خيرالدين فقد أصرّوا على رأيهم، وخشي خيرالدين من كثرة الاختلاف بينهم، فامتثل لرأيهم، وأمرهم أن يجعلوا السفن صفا واحدا، أمّا الأعداء فرؤوا أن المسلمين قد تجمعوا في مكان واحد، فنزلوا في ذلك الجون، وبدأوا يقصفونهم بالمدافع، وهنا تبيّن حسن رأي خيرالدين.

---

[1] - **ثاروزاء**: بروان، بريفيزا ، وهي مدينة بروزة.

[2] - **البنادقة**: نسبة إلى مدينة بندقية وهي مدينة قديمة بإيطاليا، مبنية على عدة جزر صغيرة. ينظر- ابو بكر الزهري – كتاب الجغرافيا – ص: 74.

[3]- وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – ج: 04 – ص: 1128.

[4] - منهم صالح رايس، درغوث رايس، مراد رايس.

وكانت هناك سفينة تتابع المسلمين، ملحقة بهم الضرر، فقاتلهم المسلمون، وردّوا هذه السفينة على أعقابها، فلحقها خيرالدين، وكبّر المسلمون بأصوات عالية، محدثين ضجة كبيرة، أدخلت الرعب في قلوب النصارى، فدهش قائدهم اندريه دوريا، وأمر بانسحاب قواته من هذا المكان، كي لا يلتقي جيش المسلمين[1].

ثمّ جمع خيرالدين قواته، وسافر بهم إلى إحدى الجزر القريبة[2] من هذا المكان مترصدا عسكر اندريه دوريا، الذي سأل خيرالدين أهل هذه الجزر عنه، فأخبروه أنّه توجه إلى الكرفاز، وكان اندريه دوريا قد راجع رأيه، وتساءل كيف يدخل بلاده ولم يحصل على أية نتيجة في هذا السفر، فذهب إلى قلعة نجت، فأخذها.

أمّا خيرالدين فأرسى بإحدى المراسى، وسمع بأنّ عدوه في قلعة نجت، فصمم العزم على ملاحقته، ولما أقلع عنة هذه المرسى، رآه عسكر العدو، واتفقوا على مهاجمة خيرالدين، واقتربت القوتان بعضهما إلى البعض، وكان النصارى قد اغرتهم كثرة عددهم، ثم تقدّمت سفينة إلى جيش خيرالدين، وبدأ ربانها يقصفونه بالمدافع، معلنة بداية القتال الشديد، الذي هلك فيه العديد من الضحايا من الجانبين، كما أغرقت عدة سفن، واستطاع خيرالدين أن يحرق بعض السفن.

ثمّ ظهر الفشل في جيش النصارى، ومن أجل الاستيلاء على سفن خيرالدين، فكّر النصارى في حيلة، حيث قسّموا جيشهم إلى قسمين، وجعلوا بينهما طريقا، لكي يستولي خيرالدين بعض مراكبهم، فيشتغل جند خيرالدين بنهبها، فيهجمون النصارى عليهم، ولكن خيرالدين دخل بعسكره بين الصفين، واشتغل بقتالهم وتغريق سفنهم، ولما رأى اندريه دوريا سفنهم تغرق الواحدة تلوى الأخرى، علم أنه لاطاقة له في محاربة خيرالدين، فلاذ بالفرار، ورجع خيرالدين إلى اسطنبول[3] مكللا بالنجاح، محملا بالغنائم، مرفوقا بالأسرى.

---

[1] - خبر قدوم عروج... – ظ و، ص و :46 – 50.

[2] - هناك ثلاث جزر قريبة من بروزة،: لقكاس، سيفالوني،أثالما ، وقد تكون هذه الأخيرة هي التي قصدها خير الدين.ينظر- ملحق هذا البحث –ص: 120.

[3] - خبر قدوم عروج ... – ظ و، ص و :46 – 50.

من الملاحظات التي يمكن تسجيلها هي أنّ خير الدين قد التقى بجيوش التحالف الصليبي في سواحل بريفيزا في 28 سبتمبر سنة 1538م[1] الموافق لسنة 945هـ، في معركة انسحب خلالها اندريه دوريا[2]، فاسحا البحر المتوسط لخير الدين وجنده، الشيء الذي زاد هذا الأخير قوة وعظمة[3].

كما يمكن ملاحظة أنّ المصادر الأوربية لم تول اهتمام كبير بانتصار خيرالدين في هذه المعركة على غرار ما كتبه هايدو[4]، إذ لم يفصّل كثيرا في هذه المواجهة، مثلما فصّله المخطوط.

3– أعماله في تونس:[5]

أ – في مدينة تونس:

سفر خير الدين إلى اسطنبول، تلبية لدعوة السلطان سليمان، وفي طريق عودته إلى الجزائر، لم يساعده الريح وساقه إلى مرسى بنزرت[6] من ناحية تونس، فأرسى بها، وكانت هناك قلعة بهذه البلدة، فلما رأى العامل على هذه القلعة خيرالدين، فرّ هاربا إلى تونس[7]، حيث أخبر سلطانها الحفصي حسن، وأعلمه بقدوم خير الدين، ودخول أهل تلك الناحية في طاعته، فتحير حسن السلطان الحفصي من ذلك، ودهش، وكان أهل تونس قد كرهوا من سلطانهم هذا، لأنه كان ظالما عدوانا، ولمّا سمعوا بقدوم خير الدين إلى مرسى بنزرت، كتبوا إليه يحثّونه على القدوم إليهم، لما سلف من إحسانه لهم.

---

[1] - هايدو – تاريخ ملوك مدينة الجزائر – تقديم:رباحي عبدالرحمان – ص: 63.
[2] - جون وولف – الجزائر وأوربا – ص: 53.
[3] - اندري كلو – غازي الغزاة سليمان القانوني – ص: 141.
[4] - هايدو – المصدر السابق – تقديم: رباحي عبدالرحمان - ص: 63.
[5] - هناك محطوط بالمكتبة الوطنية –الحامة – الجزائر – رقم: 1618 يروي قصة دخول خيرالدين تونس واشتباكاته مع شارل كان، وفراره على الجزائر ولكنه ينقل نقلا مباشرا عن كتاب غزوات عروج وخيرالدين، فهو لم يقدم معلومات جديدة.
[6] - **بنزرت**:مدينة بحرية بتونس، بها قلاع كثيرة. ينظر- ياقوت الحموي- المصدر السابق – ج:01 – ص:499.
[7] - ينظر- حسن حسيني عبد الوهاب – خلاصة تاريخ تونس –مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من اقدم العصور على الزمن الحاضر – تونس – دار التونسية للنشر / مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع – 1976م – ص:247.

فأتاهم خير الدين، ولمّا دخل مدينة تونس، فرّ سلطانها، وبقي جماعة من عسكره بالمدينة، حيث تشابك هؤلاء مع جيش خير الدين، فخاف أهل المدينة على أنفسهم، وهربوا إلى المساجد تحصنا لهم، وفي هذه الأثناء خرج خير الدين لإطفاء نار هذه الفتنة، وكفّ عسكره عن القتال، فكان من جملة من قتل من الطرفين: ثمانين من جيش خير الدين، ومن عسكر الحفصيين ثلاثمائة قتيل.

ثمّ أنّ هؤلاء العسكر عزموا القيام على خير الدين، فبعثوا إلى سلطانهم يستقدمونه، ويستعجلونه في الحركة، فوصلهم مع جماعته، ولما دخل المدينة، اجتمع بأتباعه، حول استئصال خير الدين، وعسكره، وبذل في ذلك الأموال، وتوعّد كل من يتخلف عنه، فاجتمع له عدد كبير، كان هذا الأمر في ليلة واحدة، فلما كان صباحها قصد الجميع القصبة، وكان بها خير الدين وعسكره، فخرجوا إليهم، ووقع بينهم قتال شديد، فظهر خلاله عجز جماعة السلطان حسن الحفصي، وتبين الفشل فيهم، فأخذوا في الانسلال، ولما علم عسكر خير الدين بذلك، جدّوا في قتالهم، حتى انهزموا بين أيديهم، فتبعوهم يقتلونهم في كل طريق، حتى نادوا بطاعة السلطان سليمان، وطلبوا منهم الأمان، فأعطاهم خير الدين ذلك، واستقر بتونس، وأمّا السلطان الحفصي فإنه فرّ إلى حال سبيله[1]...

ولقد اختلف صاحب كتاب "المؤنس في تاريخ افريقية وتونس" مع صاحب مخطوط " خبر قدوم عروج ..." حول أسباب دخول خيرالدين إلى تونس، فالمخطوط وكذا مخطوط "الزهرة النائرة" يشيران إلى أنّ خيرالدين كان يريد الرجوع إلى الجزائر من بحر الأرخبيل، بعدما كان يترصد اندوريا، والريح هي التي ساقته إلى تونس، حيث أرسى بمرسى بنزرت، ولما رأوه أهلها، اتصلوا به، أما صاحب المؤنس فيرى أن إبراهيم باشا الذي كان وزيرا للسلطان سليمان هو الذي أرسل خيرالدين إلى تونس، لأخذها وضمها إلى الدولة العثمانية[2]، كما يذكر أيضا أن خيرالدين لما استقر

[1] - خبر قدوم عروج.... وخير الدين – ظ و، ص و: 39 -41.
[2]- ينظر – ابن أبي دينار – المؤنس في أخبار افريقية وتونس- ص: 184.

بها نفى أحد علماء تونس، وأسمه مغوش في حين لم يذكرها المخطوط[1]، ولم يذكر كذلك تاريخ دخول خيرالدين إلى تونس الذي كان في صيف سنة 1534م[2] الموافق لسنة 940هـ.

ب – أعماله في مدينة القيروان[3]:

ولمّا استقر خير الدين في تونس، وجّه كتبا إلى شيوخ القبائل، يطلب منهم إلقاء القبض على سلطان تونس الفار- حسن الحفصي-، كما بعث كتابا إلى نائبه بالجزائر يأمره بإرسال ثلاثمائة مقاتل من العسكر، وأربعمائة من الفرسان.

أمّا سلطان تونس الفار فكان يدعوا الناس للقيام على خير الدين، ومنّاهم على ذلك، وكان أهل تلك المناطق لا يستقرّون على طاعة، فأجابوه إلى ذلك، واجتمعوا بالقيروان، فسمع بذلك خير الدين، فكتب إليهم كتابا يدعوهم فيه إلى مفارقة هذا الجمع، ثمّ خرج خير الدين إليهم، فعارضه السلطان الحفصي مع أتباعه، وتصدى لقتاله، ووقع بينهم قتال، استعمل فيه خير الدين المدافع، فانهزم السلطان، أمّا أتباعه فرجعوا إلى طاعة خير الدين، ملتمسين منه العفو، وبايعوه بيعة صدق، وولاء ونصح، ورجع خير الدين إلى تونس، واستقر بها[4].

أمّا سلطان تونس فاتصل بملك اسبانيا شارل كان، قصد مساعدته على التخلص من أمر خير الدين، ولملك اسبانيا ما يطلب، فلبى هذا الأخير الطلب، وأرسى في حلق الوادي، ولما شرع في إنزال عسكره إلى البر، اتصل أهل هذه المنطقة بخير الدين، وأعلموه بقدوم عسكر إسبانيا، فخرج إلى قتالهم في إثنى عشر ألف مقاتل، فلما وصلوا إلى برج قرب مكان الإنزال، تحيز إليه أهله، وشرعوا في قتالهم، وكان بينهم قتال عظيم، فانهزم النصارى فيه، حتى رجعوا إلى الساحل، فتبعهم المسلمون، إلى أن ردتهم مدافع السفن، فتأخروا عنهم[5].

---

[1] - ينظر- ابن أبي دينار – المصدر نفسه – ص:184.

[2] - ينظر- أرجمنت كوران – السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر – ص: 23.

[3] - **القيروان**: مدينة عظيمة بوسط بلاد تونس، بناها الفاتح عقبة بن نافع، ينظر – ياقوت الحموي – المصدر السابق – ج: 04 – ص: 420.

[4] - خبر قدوم عروج... وخير الدين – ص و، ظ و: 41 – 42.

[5]- ينظر- خبر قدوم عروج...- ظ و: 41.

ثمّ وضع النصارى برجا من خشب، وأدنوه من البرج، فردهم المسلمون عما أرادوا به، وأبطلوا حيلتهم في ذلك، وكان المسلمون قد خندقوا على بعض الحصون القريبة من هذا الحصن، ونصّبوا على حافة هذا الخندق جملة من المدافع، وجعلوا فيها قطعا من السلاسل، وقطعا من الحديد، وجملة من البنادق، فلما قرب النصارى من ذلك الحصن، رمى عليهم المسلمون بتلك المدافع، فتمزقت أشلاؤهم بذلك، فكان عدد القتلى ستة ألاف، وأمّا المسلمون فدخلوا مترس النصارى ثلاثة مرات، وقتلوا رئيسه، فانهزم النصارى مرة أخرى، وهنا علم شارل كان أنّه لا طاقة له في مواصلة القتال، فطلب من بلاده المزيد من الإمدادات في أقرب وقت ممكن، ولما وصلت هذه الإمدادات، نصّب على مترس تجاه الحصن مائة وعشرين مدفعا، ومن البحر تجاهه ثمانين، وأخذ في قتالهم، فبقوا على ذلك اثنين وثلاثين يوما، حتى عطلت على المسلمين مدافعهم، فلم يقدروا على الرمي بها، فعند ذلك فرّ المسلمون من ذلك الحصن، واستولى عليه جيش شارل كان، وانحاز خيرالدين وعسكره إلى المدينة، وفي هذه الأثناء جاء سلطان تونس إلى ملك اسبانيا على هذا الحصن[1].

وففي الوقت الذي رجع فيه خير الدين إلى المدينة، وجد فيها اضطراب كبير بين السكان، فمنهم من بقي مع خير الدين، ومنهم من مال إلى النصارى في قوة زائدة مع الإمدادات التي وصلتهم، ولكن شجاعته، وإقدامه دفعته إلى مواصلة القتال، واجتمع معه حوالي تسعة آلاف وسبعمائة من أهل البلد، وستة آلاف وأربعمائة من العسكر، في الوقت الذي جاء فيه المدد إلى خير الدين، وشرع خير الدين في قتال النصارى، في حين بقي أهل تلك المنطقة، وهم أكثر من مائة ألف ينظرون إلى هذا القتال، فلما رأوا الهزيمة كادت تقع على النصارى، دخلوا في عسكر خير الدين مموهين بإعانتهم، ثم انهزموا بين النصارى، لينهزم بانهزامهم العسكر، فردهم خير الدين عن الهزيمة، فلم يقدر على ذلك، وحصلت للنصارى قوة عظيمة بما فعله هؤلاء الأعراب، واستمر القتال بينهم، حتى ظهر الفشل في صفوف النصارى، وتأخروا عن المسلمين، فعند ذلك قوى هؤلاء عليهم، واجتهدوا في قتالهم حتى ألجؤوهم مرة أخرى

[1] - المصدر نفسه – ص و: 42.

إلى البحر، فردتهم المدافع، وعند ذلك رجع خير الدين إلى تونس، فدخلها، وبقي عسكره خارج المدينة[1].

ولما دخل خيرالدين تونس، جاءه خبر مفاده أنّ النصارى قد ظهر منهم الملل، ووقع فيهم مرض كثير، فعزموا على الرجوع إلى بلادهم، ثمّ انعكس الخبر، ووصل إليه خبر آخر، هو أنّهم قادمون إلى المدينة، فخرج بعسكره نحوهم لقتالهم، وعند ذلك سمع في المدينة لغطا وأصواتا عالية، وكان سبب ذلك أن خيرالدين لما خرج، ظهر لأهلها أنه خرج فارا من النصارى، وسلّم المدينة إليهم، فخرجوا فارين بأنفسهم، وتركوه المدينة خاوية على عروشها.

وعند ذلك رجع خيرالدين إليها، وعند دخولها، منعه الأسرى الذين استغلّوا غياب المراقبين والسكان، وثاروا في المدينة، واستولوا عليها، فلم يستطع خيرالدين المقاولة على عدة جبهات، الأسرى في المدينة، وشارل كان بجيشه خارجها، والسكان قد فرّوا عنه، وفي هذه الظروف انسحب خيرالدين وجيشه من المدينة، ودخلها الإسبان، واستولوا عليها، بعد المجزرة الشنيعة التي ارتكبها جيش شارلكان، ثمّ دان لهم الحفصيون بالطاعة[2].

لقد اختلف كتاب "المؤنس في تاريخ افريقية وتونس" مع المخطوط حول نقطتين هما: فالأولى تتمثل في عدد المشاركين في حرب النصارى من المسلمين، حيث ورد في فالكتاب الأول ما نصه: "فاجتمع من أهل البلد تسعة ألاف وسبعمائة، ومن العسكر ستة ألاف وأربعمائة"[3]، أي أن مجموع المحاربين هو ستة عشر ألفا ومائة مقاتل، بينما الكتاب الثاني فقد أورد عدد ثمانية عشر ألفا[4].

أما النقطة الثانية فتتمثل في وقائع هذه المعركة، فصاحب كتاب المؤنس يرى أن الجمعين التقيا شرق تونس، وظهرت شجاعة خيرالدين في هذه المعركة، وكاد أن يكون النصر حليف جيشه، لولا الخبر الذي أتى لهذا الأخير، ومفاده أن الأعلاج أي

[1] - خبر قدوم عروج...- ص و: 42.
[2] - المصدر نفسه - ظ و: 42.
[3] - المصدر السابق – ص و:42.
[4] - ابن أبي دينار – المؤنس في تاريخ افريقية وتونس – ص: 185.

الأسرى قد أخذوا القصبة، ولما سمع خيرالدين بهذا الخبر، فرّ ومن معه إلى المغرب[1]. أما صاحب المخطوط فيرى أن فرار خيرالدين إلى هذه الجهة أي الجزائر كان بعد انتفاضة الأسرى في مدينة تونس، وكانت هذه الانتفاضة بعدما حقق خيرالدين وجيشه انتصارا على جيش النصارى، حيث ألجؤوهم إلى ساحل البحر، ولم يستطع جيش خيرالدين مواصلة ملاحقتهم، بسبب مدافع السفن الحربية، فقفل راجعا إلى تونس، فلما وصلها آتته إشاعة انتشار المرض بين صفوف النصارى، وهم الآن مصممون على الرجوع إلى بلادهم، ثم أتاه خبر قدومهم إليه، فخرج بعسكره نحوهم، ولما خرج، ظهر لأهلها أنه خرج فارا منهم، ففروا هم ايضا، وتركوا المدينة خاوية على عروشها، فاستغل المأسورون ذلك وانتفضوا- كما سلف ذكره - وهنا رأى خيرالدين استحالة سيطرته على هذا الوضع، فخرج منها[2]. كما أن الكتاب الأول لم يذكر أن من أهل البلد من وقف كالمتفرج على هذه المعركة، تارة يكونون مع خيرالدين لما يرون أن النصر يكاد أن يكون له، وتارة يكونون مع النصارى لما يرون أن النصر يقترب عليهم.

كما اشار هذا الكتاب إلى تاريخ وقوع هذه الحادثة، التي كانت " في سنة إحدى وأربعين وتسعمائة "[3] الموافق لسنة 1535م، عكس المخطوط الذي لم يذكر هذا التاريخ.

في حين يشير صاحب تحفة الزائر إلى هذه الواقعة، حين قال:"...ثم سار الجمع (النصارى) في عمارة إسبانيا إلى تونس، وحاصروها أياما ثم خرجوا إلى البر وزحفوا إليها، فلقيهم خيرالدين بجنوده خارج البلد، واقتتلوا هناك، وكان في قلعة تونس ما يزيد على خمسة وعشرين ألف أسير من الإفرنج، فانتهزوا الفرصة حين القتال وخرجوا من القلعة وحملوا على خيرالدين من خلفه، فاختل مصافه وانهزمت جيوشه ولحقت خيرالدين ببونة، ثم بالجزائر، واستولت جيوش الإفرنج على تونس".[4]

[1] - ينظر - ابن أبي دينار – المصدر السابق- ص: 185.
[2] - ينظر – خبر قدوم عروج وخيرالدين- ظ و: 42.
[3] - ابن أبي دينار – المؤنس في أخبار افريقية وتونس – ص: 186.
[4] - محمد بن عبدالقادر – تحفة الزائر- ص:99.

وكانت نتيجة استنجاد ملك تونس الحسن الحفصي هو احتلال شارل كان تونس، وتقتيله للسكان، فقيل أنه أسر في هذه الواقعة ثلثهم، ومات الثلث، وهرب الثلث الأخير[1] من هذه المجزرة البشرية.

هذه أعمال خير الدين العسكرية التي قام بها في بلاد النصارى، مجاهدا في سبيل الله، وهو على قيادة البحرية الجزائرية ثمّ العثمانية، يغزو بلاد الحرب (بلاد غير المسلمين)، ويرد العدو عن قصده بلاد السلام (بلاد المسلمين)، فكان بطلا لا يبالي بكثرة وعظمة جيش أعدائه، بل كان مهابا، يتمنى الأعداء عدم ملاقاته.

[1] - ينظر – ابن أبي دينار – المؤنس في تاريخ افريقية وتونس – ص:186.

الخـاتمة

إن تطور الأحداث في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، أفرز وضعا جديدا تمثل في اختلال التوازن بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، إذ توحدت أسبانيا فأصبحت تغير على سواحل المغرب العربي، فاحتلت مدنه الساحلية ذات المواقع الإستراتيجية.لتصبح الجهة الغربية من البحر الأبيض المتوسط تحت سيطرتها.

غير أن هذا الوضع لم يدم طويلا، ورغم غياب دولة موحدة وقوية تقف في وجه العدو، استطاع الجزائريون بمساعدة الأتراك أن يدحضوا العدو الصليبي المحتل، وتمكنوا من ردعهم، فقد انكسرت على أسوار مدينة الجزائر ثلاث حملات كما رأينا سابقا، حملة ديقو دو فيرا سنة 1516م، حملة دو منكاد سنة 1518م، وتحرير البنيون وطرد الأسبان منها سنة 1529م، ورد حملة شارلكان سنة 1541م.

لقد جاء الأتراك إلى الجزائر بطلب من علمائها ومشايخها، فاستقروا في جيجل ثم مدينة الجزائر، وهنا بدأ عمل عروج وأخيه خيرالدين على توحيد البلاد من عنابة شرقا إلى تلمسان غربا، ومن البحر إلى ما وراء الزيبان، فتوحدت بذلك الجزائر وخضعت لسلطة مركزية واحدة. رغم المشاكل الداخلية التي كان يدبرها المناوئون للوجود التركي للبلاد من أصحاب المصالح الخاصة من، جهة والمتعاملين مع النصارى من جهة أخرى.

كما أعاد خيرالدين للجزائر كيانها الذي تخلخل، واستعادت الدولة وجودها، فوقفت أمام الزحف الأسباني، فقد تم استرجاع حصن البنيون تحت قيادة خيرالدين، واستطاعت من بعده أن تطرد الإسبان من سواحلها، بفضل جهود الجزائريين والأتراك معا.

لقد وضع خيرالدين النواة الأولى لجيش الجزائر، ظهرت قوته في البحر والبر وأصبح مصدر دخل للدولة تعتمد عليه في نفقاتها، كما أصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة تحت سيطرته، يفرض على السفن المارة فيه دفع الضرائب، وذلك لقوته، وهبته في البحر. كما أنه أصبح يغزو بلاد النصارى، ويساهم في تدعيم جيش الخلافة العثمانية خاصة بعد تعين خير الدين في منصب القيادة العامة للجيش العثماني، فقد

كان حاضرا في معركة بريفيزا سنة 1538م، أين تلقت إسبانيا صفعة بالبحر المتوسط بعد سلسلة من الانتصارات، كما شارك في نجدة فرنسا سنة1543م، حيث منعت النفوذ الأسباني من الوصول إليها وكانت فرصة لتشتيت الجبهة الأوربية المقابلة لشمال إفريقيا.

لقد كان لخير الدين الدور الكبير في نقل مسلمي الأندلس إلى الجزائر، مما كان لهذا الفعل الأثر الكبير على المجتمع الجزائري، فقد نقل هؤلاء معهم معارفهم في شتى اختصاصات الحياة من صناعة وحرف وفن عمارة وغيرها، كما كان لهم الدور الكبير في محاربة النصارى بعدما استغلهم خيرالدين حين ما فتح لهم الباب في الانخراط في جيش الجزائر.

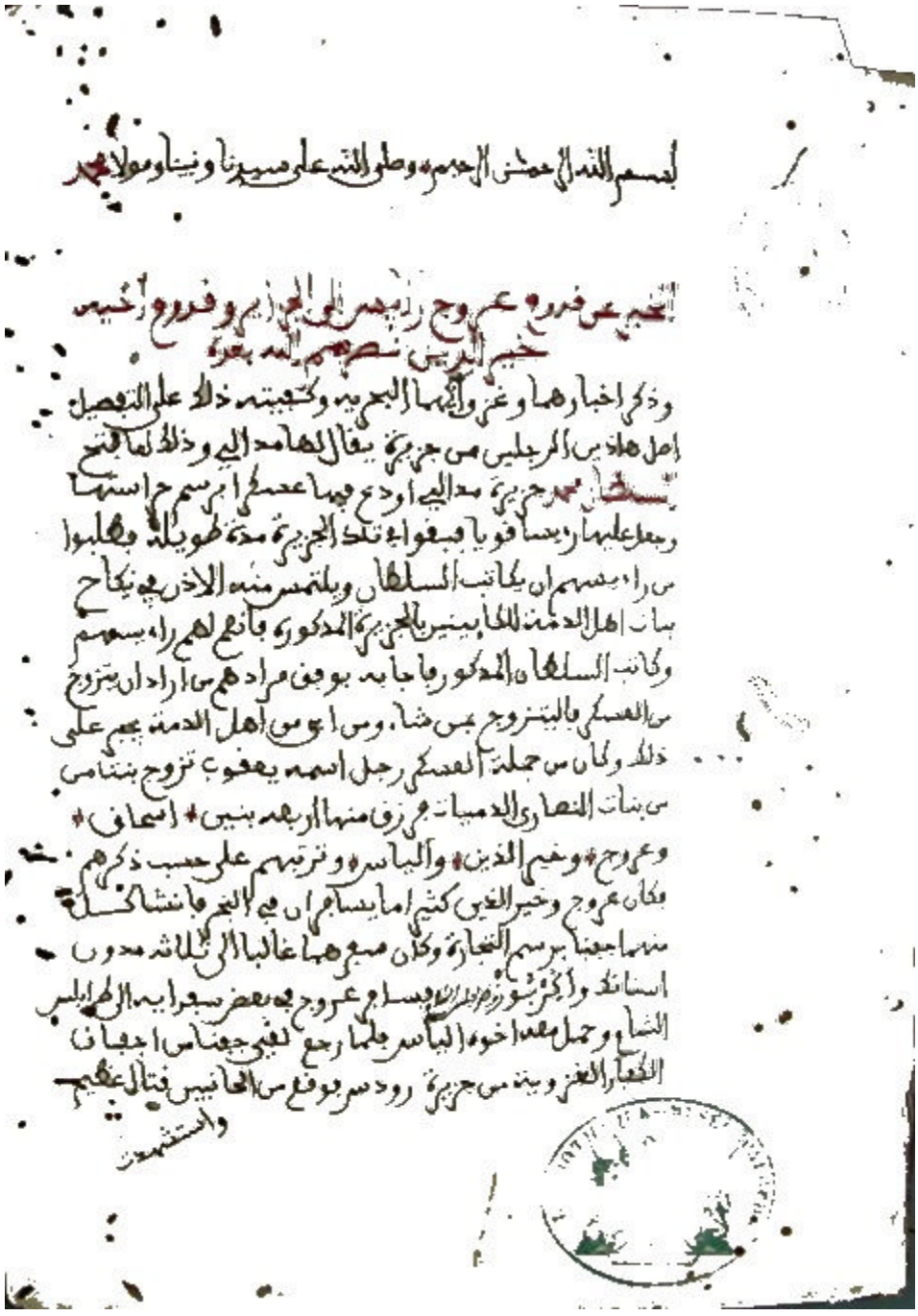
إن التعاون والتكاثف بين المغرب الإسلامي ممثلا بالجزائر ومشرقه ممثلا بالدولة العثمانية جعلت أمر الأمة الإسلامية يقوى، فقد أصبحت الأمة الإسلامية في هذه الفترة مهابة الجانب، لا تخشى من كان، فانضواء الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية الإسلامية قد ساعد الطرفين على دحض اسبانيا، فانكمش عملها التوسعي وأصبحت مدافعة بعدما كانت مهاجمة.

ودخول الأتراك إلى الجزائر جاء بطلب من أهاليها - كما رأينا سابقا- فهم لم يدخولوها ويحتلوها فوق إرادة سكانها، كما أن وجود الأجنبي في سدة حكم البلاد لا يمكن أبدا أن نفسره بأنه احتلال، فالدويلات التي قامت في المغرب الإسلامي في عهد الأمويين وغيرهم مثل الدولة الرستمية التي أسسها عبد الرحمان بن رستم في تيهرت وهو فارسي. ومع هذا لم يكن هذا الأخير محتلا، فالأمر يختلف عن الأوربيين الذين لديهم مفاهيمهم الخاصة للدولة عكسنا – نحن المسلمون- حيث نرى أن الدين هو الجامع بين المسلمين فيصبحون إخواننا خاصة في ظل الخلافة الإسلامية.

ومن هنا نجد أن الدين كان عاملا أساسيا في انضمام العثمانيين الذين ظهروا على مسرح الأحداث كحماة الدين، خاصة بعدما ساعدوا مسلمي الأندلس للوصول إلى سواحل شمال إفريقيا، وهي مساعدة لم يفهم أبعادها البعض، إذ يفهم من ذلك الانضمام الكلي إلى الحكم العثماني، سوى كونه مجرد تحالف مؤقت، وتعاون لدفع

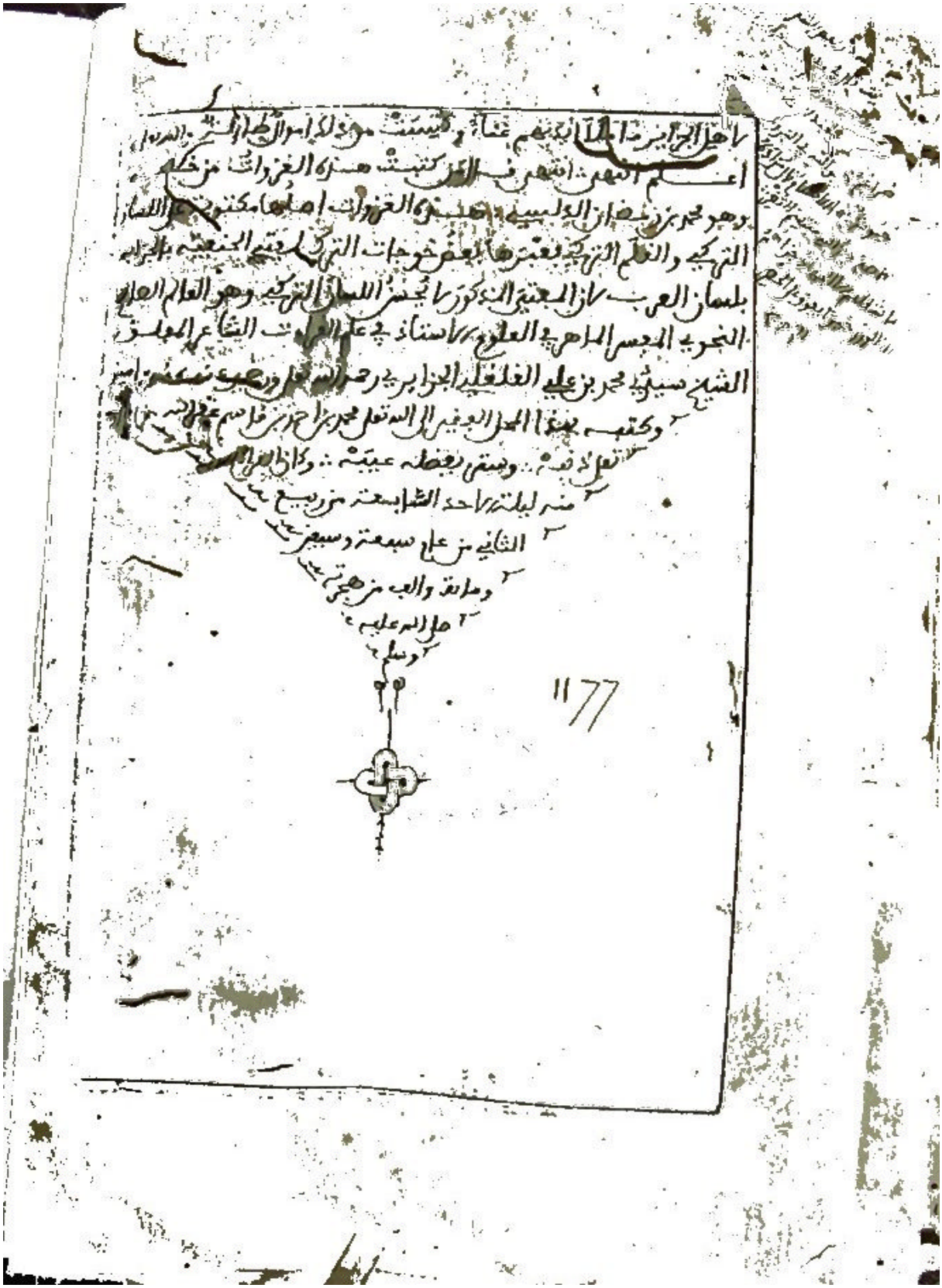
الخطر المشترك فقط، الشيء الذي دفع أشخاصا مثل: سليم تومي، وأحمد ابن القاضي، للعمل على طرد الأتراك من الجزائر، لكونهم لم يشعروا بخطر الصراع العالمي الذي كان بين النصارى والمسلمين، في ظل تنامي فكرة التوسع الاستعمارية.

الملحق: رقم 01



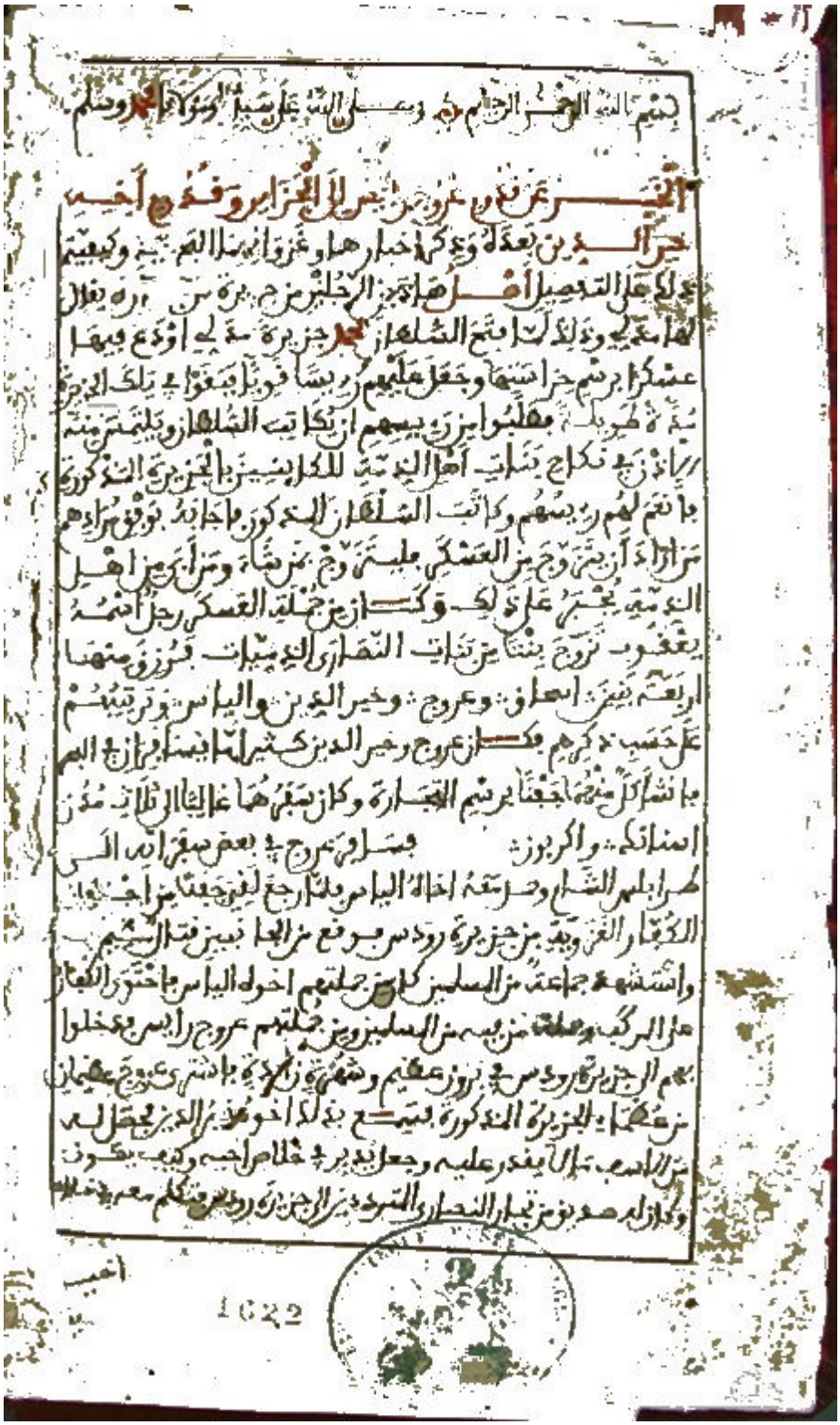
بداية النسخة رقم 1622.

الملحق رقم:02



نهاية النسخة رقم:1622

الملحق رقم:03



نهاية النسخة رقم: 1623.

الملحق رقم:05



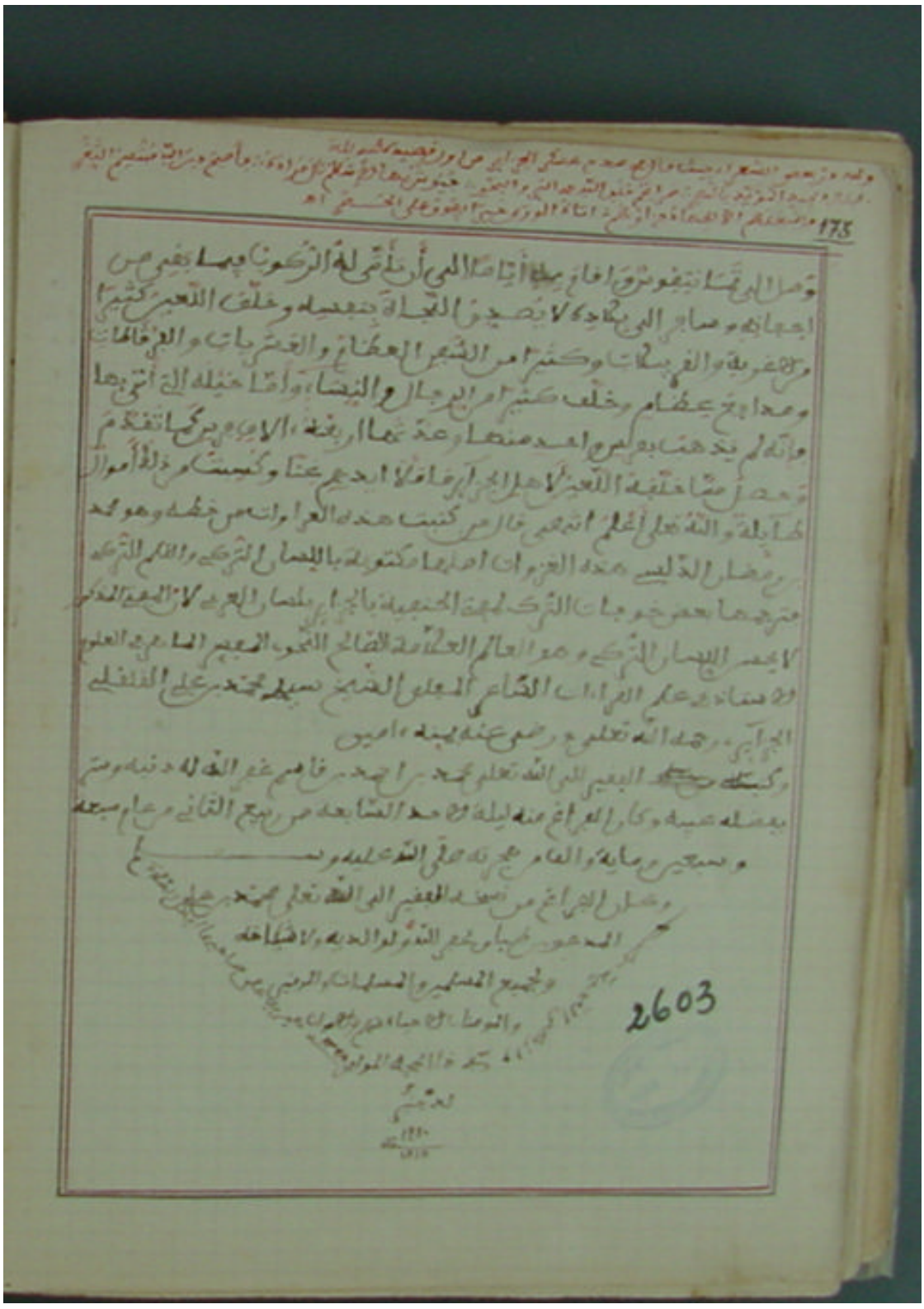
بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي وعد المؤمنين بالغلبة والنصرة، وجزى المشركين بالخذلان والذبرة، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للخلق قبلة وعشيرة، وحرض على المؤمنين القتال بكرة وعشية، وبعد فهذه أوراق تحرك على الجهاد أرباب القلوب الناجية، وتنهى عن اجتهاد المنكبين عليه زيادة وأجرة، وتمثلها بالزهرة النائية، فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، وسبب تحرير هذه الأوراق حديث خير الخلق على الأطلاق من رمى بسهم واحد فأكثر حرمه الله على النار أراه والسهام بضم الباء ما بين الحلبتين من الرفت تحلب ثم تترك سبعة أيام فصاعدا العصير لتمر ثم تحلب ومعنى الحديث من رمى بسهم فذلك المدة حرمه الله على النار والرمي به هو المأمور فاعلة على جهاد العدو بالحرب فصارع عدة الحديث الشريف فيه وعد عظيم وترغيب جسيم للمقيمين بالجزائر

بداية النسخة رقم: 2603.

الملحق رقم: 06



نهاية النسخة رقم: 2603.

الملحق رقم: 07

خريطة المغرب الإسلامي قبيل مجيء الأتراك

الملحق رقم: 08.

خريطة تبين الحملات الصليبية عل الجزائر من سنة 1505م إلى سنة 1541م

الملحق رقم: 09.

خريطة تبيّن أهم المدن الواقعة في حوض البحر المتوسط

الملحق رقم: 10.

جدول زمني لأهم الأحداث[1]:

918هـ /1512م: محاولة عروج استرجاع بجاية من يد الإسبان.

920هـ /1514م: عروج يستقر بجيجل ويطرد منها الجنويين، ويتخذها قاعدة لعملياته.

922هـ /1516م: استقرار عروج بمدينة الجزائر، ورد غارة أسبانية على الجزائر بقيادة ديقو ديفييرا.

1524هـ/1518م: استشهاد إسحاق وعروج في قلعة بني راشد وضواحي تلمسان على التوالي.

925هـ /1519: هزيمة خير الدين في فليسة أم الليل أمام ابن القاضي.

926هـ / 1520: اندحار الأسبان بقيادة هيغود دي منكاد أمام مدينة الجزائر في عهد خيرالدين ، هذا الأخير يترك مدينة الجزائر ويستقر بجيجل بعدما أصبحت المدينة بيد غريمه ابن القاضي.

932هـ / 1525م: هزيمة ابن القاضي من قبل خير الدين ، وموته.

933هـ / 1526: خير الدين يقضي على معارضيه، خاصة أخو أبن القاضي.

935هـ / 1528م: ايدين رايس وصالح رايس يتمكنان من إنقاذ 600 من مسلمي بلنسية.

936هـ/ 1529م: تحطيم حصن البنيون من طرف خير الدين.

938هـ / 1531م: محاولة أنزال قام بها اندريا دوريا في شرشال.

940هـ / 1533م: استدعاء خير الدين إلى اسطنبول.

941هـ / 1534م: سقوط تونس في يد خير الدين.

942هـ / 1535: تمكن شارلكان على تونس

948هـ / 1541: انكسار شارلكان في هجومه على مدينة الجزائر.

951هـ / 1544: قيام خير الدين بالدفاع عن السواحل الفرنسية ضد الأساطيل الإسبانيا.

953هـ / 1546م: وفاة خير الدين باسطنبول.

---

[1] - ينظر – ناصرالدين سعيدوني – ورقات – ص ص: 201 - 203.
ينظر – كورين شوفلييه – المرجع السابق – ص ص : 128 - 131.

أولا- المخطوطات:

01- مجهول – الخبر عن قدوم عروج رايس إلى الجزائر وقدوم أخيه خيرالدين – المكتبة الوطنية الحامة - الجزائر – رقم: 1622.

02- مجهول – الخبر عن قدوم عروج رايس إلى الجزائر وقدوم أخيه خيرالدين – المكتبة الوطنية الحامة - الجزائر – رقم: .1623

03- مجهول – الخبر عن قدوم عروج رايس إلى الجزائر وقدوم أخيه خيرالدين – المكتبة الوطنية الحامة - الجزائر – رقم:2603.

04- أبو راس – عجائب الأخبار – ملك الأستاذ– ملك الأستاذ حمدادو بن اعمر – قسم الحضارة الإسلامية – جامعة وهران.

05- أبو راس - عجائب الأسفار – ملك الأستاذ حمدادو بن اعمر – قسم الحضارة الإسلامية – جامعة وهران.

06- أبو زيد عبدالرحمان الجامعي الفاسي – فتح وهران – المكتبة الوطنية الحامة – الجزائر- رقم: 2521.

07- ابن الصباغ – زمزم الأخيار – نسخة عن المخطوط – مخبر المخطوطات – قسم الحضارة الإسلامية.

08- محمد أبي سرور البكري الصديقي- فتح الرحمانية في الدولة العثمانية - المكتبة الوطنية الحامة – الجزائر- رقم:1651.

09- محمد بن رقية التلمساني – الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الجنود الكافرة – المكتبة الوطنية الحامة – الجزائر- رقم: 2603.

10- محمد صالح العنتري - الفريدة المنسية والأجوبة المؤسسة في أخبار في أخبار دخول الترك ومملكتهم ببلاد قسنطينة - المكتبة الوطنية الحامة – الجزائر – رقم: 2320.

11- مسلم بن عبد القادر – دخول الكفار – ملك الأستاذ حمدادو بن اعمر – قسم الحضارة الإسلامية – جامعة وهران.

12- مجهول - فتح خيرالدين تونس مختصر من غزوات عروج – المكتبة الوطنية الحامة – الجزائر – رقم: 1618.

ثانيا - المصادر:

13- مجهول – غزوات عروج وخيرالدين – تصحيح تعليق: نورالدين عبدالقادر – الجزائر - 1934.

14- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري – الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى- تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري - القسم الثاني– ج:04 - دار الكتاب – المغرب – 1955 .

15- أبو راس محمد بن الناصر المعسكري – الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية – تحقيق: سليمة بنعمر – دار حنين للطباعة والنشر – ليبيا – د.ت .

16- أبو زكريا يحي بن خلدون– بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد - تقديم وتحقيق وتعليق : عبدالحميد حاجيات - ج :1– المكتبة الوطنية – الجزائر- 1980.

17- أبو عبدالله الأعرج السليماني – تاريخ الجزائر عن كتاب الشماريخ - تحقيق : حساني مختار- د.ت.

18- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي – نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – المجلد: 02- عالم الكتب - بيروت – ط: 01 – 1409هـ/ 1989م

19- أبو عبيد بن عبدالعزيز البكري – المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك – دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – د.ت.

20- ابن الأحمر – تاريخ تاريخ الدولة الزيانية – تقديم وتحقيق وتعليق: هانى سلامة– مكتبة الثقافة الدينية - بورسعيد ، مصر– ط:01 - 1421هـ / 2001م .

21- ابن بطوطة – رحلة ابن بطوطة – تراث العرب- دار بيروت/ دار النفائس – بيروت – لبنان – ط: 01 - 1418هـ / 1997م.

22- أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشيدي – القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط – تحقيق وتقديم: ناصرالدين سعيدوني – دار الغرب الإسلامي - بيروت – ط: 01 – 1991.

23- احمد بن محمد المقري التلمساني – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي – ج: 05 – دار الفكر الإسلامي – بيروت – ط: 01 - 1419هـ / 1998م.

24- أحمد بن محمد بن علي سحنون الراشدي – الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني –تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي – مطبغة البعث- الجزائر – 1973.

25- – اسماعيل باشا البغدادي – هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المدفين - ج: 02 – المكتبة الإسلامية – إيران – 1947.

26- الأغا بن عودة المزاري – طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر – تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز – ج: 01 – دار الغرب الإسلامي – بيروت– ط: 01 – 1990.

27- الحفناوي – تعريف الخلف برجال السلف – ج :1– موفم للنشر – الجزائر – 1991.

28- الحسن بن محمد الوزان الفاسي – وصف افريقيا – ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط: 02 – د.ت.

29- حمدان بن عثمان خوجة – المرآة – تقديم وتحقيق: محمد العربي الزبيري – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر - 1982.

30- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي – معجم البلدان – دار صادر – بيروت – د.ت.

31- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري – رحلة المسماة بلسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والمال – تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر -1983.

32- عبدالقادر المشرفي – بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولايةالإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر– تحقيق وتقديم: محمد بن عبدالكريم – د.ت.

33- محمد الصغير الإراني – نزهة الحادي بأخبار القرن الحادي – تقديم وتحقيق: عبداللطيف الشاذلي – مطبعة النجاح الجديدة – المغرب - ط : 01 - 1998.

34- محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بأبي دينار – المؤنس في أخبار إفريقية وتونس – دار الميسرة – بيروت– ط: 03 – 1993.

35- محمد بن عبدالقادر الجزائري – تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر – شرح وتعليق : ممدوح حقي – ج : 01 – دار اليقضة العربية – ط: 02 - 1964.

36- محمد بن عبدالله التنسي – تاريخ ملوك بني زيان مقتطف من الذر العقيان في بيان شرف بني زيان – حققه وعلق عليه: محمود بوعياد – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1985.

37- محمد بن عبد المنعم الحميري – الروض المعطار في خبر الأقطار – تحقيق: إحسان عباس – مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – ط: 02 - 1980.

38- محمد بن عسكر الحسني الشفشاوي – دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر – تحقيق : محمد حجي – منشورات مركز التراث الثقافي المغربي – المغرب – ط :3 – 2003.

39- محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج – الحلل السندسية في الأخبار التونسية – تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط:01 – 1985.

ثالثا ـ المراجع بالغة العربية:

40- ابراهيم بك حليم- الدولة العثمانية العلية المسمى التحفة الحلية في تاريخ الدولة العليّة – عالم الكتب –بيروت – ط: 01 – 422هـ / 2002م.

41- أبو القاسم سعد الله – أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر – ج: 04 – دار الغرب الإسلامي – بيروت– ط:01 – 1996.

42- أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر(16م – 20م) – ج: 01، ج:02– الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر- 1981.

43- أبو القاسم سعد الله – شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية الإسلام – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط: 01- 1989.

44- أبو القاسم سعد الله - أشعار جزائرية - المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر-1988.

45- أحمد السليماني – تاريخ مدينة الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – د.ت.

46- أحمد السليماني – النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني - الجزائر – 1994.

47- أحمد توفيق المدني – حرب الثلاثمائة بين الجزائر واسبانيا 1492، 1792 – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – د.ت.

48- أحمد توفيق المدني – محمد عثمان باشا داي الجزائر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1986.

49- أحمد توفيق المدني – مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1168-1246 / 1754 – 1830)– الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – 1974.

50- أحمد فؤاد متولي – تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي- ايتراك للنشر والتوزيع – مصر – ط: 01 – 2002.

51- أرجمونت كوران – السياسة العثمانية تجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر – ترجمة: عبد الجليل التميمي – منشورات الجامعة التونسية – 1970.

52- البير دوفال – الريس حميدو – تعريب: محمد العربي الزبيري – المؤسسة الجزائرية للطباعة – الجزائر – د.ت.

53- الحاج محمد بن رمضان شاوش – باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان – ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر- 1985.

54- السيد الباز العربي – المماليك – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – د .ت.

55- أندري برينان، أندري نوشي وإيف لاكوست – الجزائر بين الماضي والحاضر – ترجمة: اسطنبولي مصطفى ومنصف عاشور – ديوان المطبوعات الجامعية – 1984.

56- اندري كلو – غازي الغزاة سليمان القانوني – تعريب: محمد الرزقي – دار التركي للنشر – تونس – د.ت.

57- بسام العسلي – خيرالدين بربروس – دار النفائس– بيروت – ط: 03 – 1986.

58- جلال يحي – تاريخ المغرب الكبير – ج: 03 – دار النهضة العربية – بيروت – 1981 .

59- جلال يحي – العالم العربي الحديث والمعاصر – ج: 01- المكتب الجامعي الحديث – مصر – 1998.

60- جون . وولف – الجزائر وأوربا – ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1986.

61- حسن حسيني عبد الوهاب – خلاصة تاريخ تونس –مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من اقدم العصور على الزمن الحاضر – تونس – دار التونسية للنشر / مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع – 1976م.

62- حسين مؤنس – عالم الإسلام: دراسة في تكوين العالم الإسلامي وخصائص الجماعات الإسلامية - دار المعارف- مصر- 1973.

63- حسين مؤنس - تاريخ المغرب وحضارته من الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي – ج: 03– العصر الحديث للنشر والتوزيع – بيروت – ط: 01 – 1412هـ/1992م.

64- حسن مؤنس – أطلس تاريخ الإسلام – مصر الزهراء للإعلام العربي – ط: 01– 1407هـ / 1987م.

65- حمادي عبدالله – الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492 – 1616) – مؤسسة تونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1989.

66- سعيد الصباغ – الأطلس العربي العام – مطابع فرديكو اوغسطين – ايطاليا – 1385هـ/ 1965م.

67- شوقي أبو الخليل – أطلس التاريخ العربي الإسلامي – دار الفكر – سوريا – ط: 05 – 2002.

68- صالح عباد - الجزائر خلال الحكم التركي 1514 ، 1830 – دار هومة – الجزائر - 2005.

69- صلاح العقاد – المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر – مكتبة الأنجلو المصرية – مصر -1993.

70- عبد الحميد بن أشنهو – دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر– الطباعة الشعبية للجيش - الجزائر – د.ت.

71- عبد الرحمان الجيلالي – تاريخ الجزائر العام- ج: 03 – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ط: 07 – 1994.

72- عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم – المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517- 1798) – منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية - تونس – ط: 01 – 1982.

73- د/ عبدالرحمان علي الحجي – التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلمي حتى سقوط غرناطة (93هـ - 897هـ) / (711م – 1493م) – دار القلم – دمشق – ط: 05– 1418هـ/ 1997م.

74- عثمان الكعاك – موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى العصر الفرنسي – تقديم ومراجعة: أبو القاسم سعدالله، محمد البشير السبتي، ناصرالدين سعيدوني، ابراهيم بحار – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط: 01 – 2003.

75- عزيز سامح البر – الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية – ترجمة: د/ محمود علي عامر – دار النهضة العربية – بيروت – ط: 01 – 1989.

76- علي محمد الصلابي – الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط – دار التوزيع والنشر الإسلامية – مصر – ط: 01 – 2001.

77- عمر عبد العزيز عمر – جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث – دار المعرفة الجامعية – مصر – 1998.

78- كورين شوفالييه – الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510، 1541 – ترجمة: جمال حمادنة – دار المطبوعات الجامعية – الجزائر – د.ت.

79- لويي كارديالك – الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون: المجابهة الجدلية(1492-1640) – تعريب وتقديم: عبد الجليل التميمي – منشورات المجلة التاريخية المغربية و ديوان المطبوعات الجامعية – تونس– ط:01 – 1983.

80- محمد الطمار– الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – 1983.

81- محمد الطمار – تلمسان عبر العصور: دورها في سياسة وحضارة الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1984.

82- محمد العروسي المطوي – السلنطة الحفصية: تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي – دارالغرب الإسلامي- بيروت – 1986.

83- محمد الهادي الشريف – ماذا تعرف عن تونس – تعريب: محمد الشاوش و محمد عجينة – سرار للنشر – تونس– ط: 02 – 1985.

84- محمد حجي – الحركة الفكرية بالمغرب في العهد السعديين – ج: 1– مطبعة فضالة – المغرب – 1976.

85- محمد زروق- الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16م و17م- إفريقيا الشرق – المغرب – 1991.

86- محمد عبدالله عنان - دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين - مكتبة الخانجي – مصر – ط: 04 – 1997م.

87- محمد فريد بك – تاريخ الدولة العلية العثمانية – مطبعة أفندي – مصر – 1896.

88- محمود بوعياد – جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر– 1986.

89- محمود شاكر – التاريخ الإسلامي، العهد العثماني - م: 8 - المكتب الإسلامي – بيروت - ط : 3 – 1991.

90- مولود قاسم نايت بلقاسم – شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830– دار البعث للطباعة والنشر- الجزائر – 1985.

91- ـ محمود عصام الميداني – الأطلس الجغرافي الحديث، الوطن العربي والعالم – دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة – دمشق – 1997.

92- م.دي ابيانسا – الدرسات المتعلقة بتاريخ اسبانيا المنشورة في الجزائر من 1962م إلى 1973م – ترجمة: عبد الحميد حاجيات – الشركةالوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – 1976.

93- ناصر سعيدوني – ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني – دار الغرب الإسلامي– بيروت – ط: 01 – 2000.

94- ناصر الدين سعيدوني– الجزائر منطلقات وأفاق مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية – دار الغرب الإسلامي – بيروت -2000.

95- ناصر الدين سعيدوني – الجزائرفي التاريخ ، العهد العثماني – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1984.

96- ناصرالدين سعيدوني – من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين – دار الغرب الإسلامي – لبنان – ط: 01 – 1999.

97- نورالدين عبد القادر – صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها حتى انتهاء العهد التركي – مطبعة البعث – الجزائر – 1965.

98- واشنطن ايرقينج – سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس – ترجمه وعلق عليه: أسماعيل العربي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- 1988.

99- وليم سبنسر – الجزائر في عهد رياس البحر- تعريب وتقديم: د/ عبد القادر زبادة – المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر.

100- يحي بوعزيز- مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1999.

101- يحي بوعزيز – علاقت الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا 1500 ، 1830 – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1985.

رابعا - الموسوعات العلمية:

102- مسعود الخوندي- الموسوعة التاريخية والجغرافية – المجلد: 04، 20 – الشركة العالمية للموسوعات – لبنان- 2004.

103- وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – ترجمة: محمد مصطفى زيادة – ج: 04 – مكتبة النهضة المصرية – مصر – 1963.

104- هونسما، وقسنك، وكب، وهفنك، وليفي بروفنسال، وشارة، وبلا، وباسيه، وهارتمان، وأرنولد، وباور،رولويس، وشاخت - دائرة المعارف الإسلامية – إعداد وترجمة: ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتاوي ، عبد الحميد يونس - مادة: الجزائر – المجلد: 11 – دار الشعب.

105- الموسوعة العربية العالمية المجلد:03- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – الرياض - ط: 02.

106- قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم – المجلد: 28 – قسم : الجزائر – بيروت.

خامسا- الأطروحات:

107- أحمد بحري – الحياة الإجتماعية بالجزائرفي عهد الدايات – إشراف: د/ دحو فغرور – رسالة ماجستير – قسم التاريخ والحضارة الإسلامية – جامعة وهران – 2001 / 2002م

108- بوشنافي محمد – الجيش الإنكشاري – إشراف: أ.د/ بوعلام بلقاسمي – قسم التاريخ – جامعة وهران – 2002/2001.

109- حمدادو بن اعمر - محمد أبو راس الناصر المعسكري:حياته وأثاره– إشراف: أ/د عبدالمجيد بن نعمية – رسالة ماجستير – قسم الحضارة الإسلامية - جامعة وهران – 2003/2002.

110- حنيفي هلايلي - المرسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16م و 17 م – رسالة ماجستير – إشراف :د/ عبدالحميد حاجيات – قسم التاريخ وعلم الأثار – جامعة وهران – 1999 /2000

111- درياس لخضر – المدفعية الجزائرية في العهد العثماني – إشراف :د/ مولاي بلحميسي –معهد التاريخ- جامعة الجزائر –السنة الجامعية : 89/ 90.

112- محمد بن يوسف – قليج على باشا ودوره في البحرية العثمانية – إشراف:د/ أبو القاسم سعد الله – رسالة ماجستير – معهد التاريخ – جامعة الجزائر – 1988.

113- نعيمة بوحمشوش- مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية- إشراف: د/ ناصرالدين سعيدوني- رسالة ماجستير – قسم التاريخ- جامعة الجزائر – 1999/1998.

سادسا - الدوريات:

114- المجلة الجزائرية للمخطوطات – العدد:01 – 1424هـ/ 2003م - مكتبة الرشاد للطباعة والنشر – الجزائر .

115- مجلة تاريخ وحضارة المغرب – 07 جويلية 1969 – العدد: 06.

116- مجلة الثقافة – العدد: 10 - رجب 1392هـ / سبتمبر1972م – الجزائر.
117- مجلة الثقافة – العدد: 13 – صفر 1393هـ / مارس 1973م – الجزائر.
118- مجلة الثقافة- العدد: 48 -1978 – الجزائر.
119- مجلة التراث العربي – جمادى الأولى 1426هـ / حزيران 2005 – العدد : 98.
120- المجلة التاريخية المغربية – العدد : 03 – 1975
121- المجلة التاريخية المغربية – العدد: 06- 1975.
122- مجلة الأسطول – العدد: 16 – فيفري 1999- الجزائر.
123- المجلة الإفريقية – العدد: 15 - 1870
124- المجلة الإفريقية – العدد: 19 - 1875
125- المجلة الإفريقية – العدد - 1877.
126- المجلة الإفريقية – العدد - 1880
127- المجلة الإفريقية – العدد - 1928

سابعا - المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

128- A.BEHAGHEL – L'Algérie : Histoire,Géographie…- Imprimerie A.Molot.1864 – Alger .
129- Berberugger.A .Alger histoire .pittoresque et monumentale .T1.Paris. 1843

130- Braudel.F. La Méditerranée et le monde mediteraneen à l'époque de Philipe 2.T 2 Paris . 1949.

131- Colombe .M.L'Algerie Turque in initiation d'Amérique et d'orient. Paris. 1975.

132- Gramont . H. D .Histoire d'Alger sous la domination Turque(1515 – 1830) ..Ernest Leroux. Paris. 1887.

133- DIEGO DE HAEDO – Histoire Rois des D'Alger – présentation de Abderrhmane Rebahi – Imprimerie Hassenaoui - ALGER – 2004.

134- Hamar .V.DE .Histoire de L'Empire Ottoman depuis son origine Jusqu'à nos gours. Trad. de l'Allemand PAE J.Halbert.T5.(1520 – 1547) Bussang. Bellirard et cie .Paris Londres . 1836.

135- Laugier de Tassy ; Histoire du royaume d'Alger ; paris, ed Loysel ; 1992 .

136- Mercier. E. Histoire de l'Afrique Septentrionale (Barbarie) depuis les temps les plus recules jusqu'à la conquête .Française .1830 .T3 .E.Leroux. Paris .1891.

137- M.Leon Galibert ;LAlgerie ancienne et moderne ; Paris ; Furnes et Cie éditeur ;1846

138- SANER RANG . FERDINAND DENIS , Fondation de la Régence d'Alger, Histoire des Barberousse, Edition Bous lama , Tunis, 1984.T1 ,T2.

الفهرس

المقدمـة:

المدخـل.....**1**

التعريف بالمخطوط:.....**1**

أوضاع المغرب الإسلامي قبيل مجيء الأتراك.....**08.**

الفصل الأول: خيرالدين ودخول الأتراك إلى الجزائر **12**

المبحث الأول: خيرالدين.....**13**

1- أصله 13

2 - مولده 15

3- نشأته 15

4- صفاته 16

5- أعماله 21

6- أثاره 23

7 – وفاته 23

المبحث الثاني: دخول الأتراك:.....**24**

أ- وقت دخولهم إلى الجزائر 24

ب- أسباب مجيئهم 26

ج- موقف سكان الجزائر منهم 32

الفصل الثاني: أعماله العسكرية في الجزائر **38**

المبحث الأول: محاربة النصارى.....**39**

أ- قبل سنة 1521م: **39**

1- بجاية 39

2 – جيجل 43

3 - تنس 44
4- قلعة بني راشد 46
5 - حملة هيغو دي منكاد 48
6 – الأسرى 50
7 – مستغانم 51
ب- بعد سنة 1524م: 52
1 - حصن البنيون 52
2 – الأسرى 54
3 -حملة أندوري دوريا 55
4 – عنابة 56
5- حملة شارل كان 57
المبحث الثاني: ملاحقة المتمردين 60
أ- قبل سنة 1521م : 60
1- جاسوس جيجل 60
2 - مولاي عبد الله 61
3- مسعود 62
4 - أحمد بن القاضي 63
5 - سكان الجزائر **65**
ب- بعد سنة 1524م : 66
1- أحمد بن القاضي 66
2 - قارة حسن 68
3 - مولاي عبد الله. 69
4 - حسن بن القاضي 70
الفصل الثالث : أعماله خارج الجزائر 73
المبحث الأول:أعماله على عرض البحر: 75
أ - فيما بين سنتي 1520م و1525م 75
ب- في سنة 1530م 78
ج- في سنة 1533م 79
د- في سنة 1535م 80
المبحث الثاني: أعماله في بلاد النصارى: 81

أ- **أعماله في اسبانيا**:1- نجدة مسلمي الأندلس.....8

2– في سنة 1530م.....83

3 - في سنة 1533م.....85

4- جزر الباليار.....85

ب- **أعماله في ايطاليا:1**- في سنة 1531م.....87

2- في سنة 1533.....89

3- في سنة 1934م..... 90

ج- **أعماله في اليونان: 1-** في البحر الأيوني.....92

2- في البحر الإيجي.....**94**

د- واقعة ثاورزاء..... 97

المبحث الثالث: أعماله في تونس.....99

أ- مدينة تونس.....99

ب - **القيروان**.....101

الخـاتمة.....**106**

الملاحـق.....**110**

قائمة المصادر والمراجع **121**

فهرس.....**137**